

**ARABIC TRANSLATION OF THE BOOK
“A HARVEST OF HATRED”**

BY

Alhassan Issa Sabi

NSU/ARTS/MA/ARA/009/15/16

M.A ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

2019

**ARABIC TRANSLATION OF THE BOOK
“A HARVEST OF HATRED”**

BY

Alhassan Issa Sabi

NSU/ARTS/MA/ARA/009/15/16

**A DISSERTATION SUBMITTED TO THE SCHOOL OF POSTGRADUATE
STUDIES NASARAWA STATE UNIVERSITY, KEFFI, IN PARTIAL
FULFILLMENT OF THE REQUIREMENT FOR THE AWARD OF DEGREE
OF MASTERS IN ARABIC.**

DEPARTMENT OF ARABIC STUDIES

FACULTY OF ARTS

NASARAWA STATE UNIVERSITY, KEFFI,

NIGERIA

DECLARATION

I here declare that this dissertation has been written by me and it is a report of my research work. It has not been presented in any previous application for M.A Degree. All quotations are indicated and sources of information specifically acknowledged by means of references.

Signature: _____

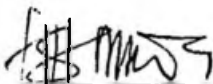
Name: Alhassan Issa Sabi

Registration No: NSU/ART/MA/ARA/009/15/16

CERTIFICATION

This is to certify that this thesis entitled; "*Arabic Translation of the Book 'Haṣād Karāhiyyah': By Abdullahi Isma'il:*" has been supervised and approved for the award of Degree of (M.A) in Arabic Language and Literature, in the Department of Arabic Studies, Faculty of Arts, Nasarawa State University, Keffi and is approved for its contribution to knowledge.

Prof. Abubakar S. I. Wakawa
Chairman, Supervisory, Committee

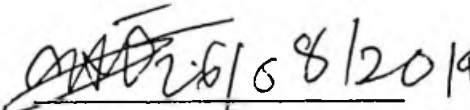

26/08/19

Sign/Date

Member, Supervisory, Committee


Sign/Date

Prof. Salisu Abdulkarim
Head of Department


26/08/2019


Sign/Date

Assoc. Prof Ilyasu Usman
Internal Examiner


26/08/2019

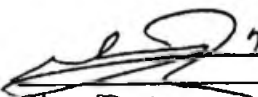
Sign/Date

Prof. Adewole A. Alagbe
Dean of Faculty


26/08/2019

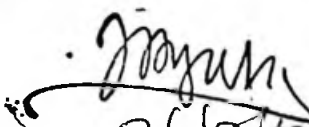
Sign/Date

Prof. Moshood Mahmood Jimba
External Examiner


26/8/19

Sign/Date

Prof. Jonathan M. Ayuba
Dean, School of Postgraduate Studies


26/8/19

Sign/Date

ABSTRACT

This research is based on the translation of the book "A Harvest of Hatred" by Ismail Abdullahi, from English to Arabic. The research consists of five chapters. The first chapter is the introduction to the research, the second chapter is the literature review on translation, and in the third chapter the researcher mentions the Author's bibliography and his academic contributions: He is a Nupe, a native of Lapai, Emirate of Niger State. The researchers used the normal method of texts translation which is pragmatic translation. The researcher has presented the main translation of the book in chapter five. The author divided the book in two parts. Under these, are nine short stories each with a scene and a special title. They include: Sundry tale which is a story on the character of Junior, who presents his life and his motherland like a haggard looking women who spent her life with Whitemen in useless; The frontier Island, which focuses on the character of Aminu, as it appears to him in his dream, the backward nation, and underdeveloped country which appear to him between the imagination and reality, which is compared to the African societies; The swine Island which is the story the author presents as a similar example of Western European Power and the United States and their ways of treating Africans; The story of Death Sentence which bears its characters as Sani and Chuks and the conspiracies that chuks brought between them that led to the death of Sani through the cause of HIV/AIDS which is a disease invented by the Westerners for the purpose of reducing African population, especially the Black Nations; The story on the characters of Hassan and his friend Nuhu; A harvest of Hatred which is a story about the characters of Ba-Ahmadu and his brother Ya-Sumanu who are inhabitants of Etizhuru – village, nature of hatred and envy which Ya-Sumanu is presenting between them despite being a Muslim; another story about the characters of Musbau and the members of the union/partly whose thought and aim is to defend the homeland; then The Jungle of Maraya, which consists the characters of Maraya and his parents as his father dies before his birth. The subject matter of this book, "A Harvest of Hatred – Short Stories" is case studies focused on the lives of Africans, the backward Nation, an underdeveloped country and the nature of conspiracies of Westerners and European power operating towards the African population. The nature of hatred, envy, conspiracies behaviors and jealousy, which are rampart in the society. In addition to that complete believe in magic and sorcery.

"حصاد كراهية"

الترجمة العربية لقصة إسماعيل عبد الله القصيرة بعنوان

"A HARVEST OF HATRED"

إعداد الطالب:

الحسن عيسى سب

NSU/ART/MA/ARA/009/15/16

ماجستير في اللغة العربية

سبتمبر ٢٠١٨م

الإهداء

يهدى الباحث هذا البحث إلى روح والدته العزيزة... ويدعو المولى عز وجل أن يتغمدها
بواسع رحمته وأن يتجاوز عن سيئاتها وأن يدخلها فسيح جناته مع الأبرار والصدّيقين
والشهداء.

"حصاد كراهية"

الترجمة العربية لقصة إسماعيل عبد الله القصيرة بعنوان

"A HARVEST OF HATRED"

إعداد الطالب:

الحسن عيسى سب

NSU/ART/MA/ARA/009/15/16

بحث مقدم إلى كلية الدراسات العليا، جامعة ولاية نوراوا، تكلمة لمتطلبات نيل شهادة

الماجستير في اللغة العربية وآدابها

قسم الدراسات العربية

كلية الدراسات العليا

جامعة ولاية نوراوا - كفي،

نيجيريا.

الإهداء

يهدي الباحث هذا البحث إلى روح والدته العزيزة... ويدعو المولى عز وجل أن يتغمدها
بواسع رحمته وأن يتجاوز عن سيئاتها وأن يدخلها فسيح جناته مع الأبرار والصدّيقين
والشهداء.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم - ١٨] والصلاة والسلام على أشرف المرسلين مُحَمَّد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم القيامة.
أما بعد.

فأوجه شكري وتقديري إلى أستاذ الدكتور أبي بكر الصديق وكاوا الذي ضحى بأوقاته الثمينة في الإشراف على هذا البحث وتوجيهه وتصويب الأخطاء جعل الله سبحانه وتعالى عمله هذا في ميزان حسناته يوم القيامة.

وأوجه أخلص شكر وتقدير إلى رئيس قسم اللغة العربية الدكتور ثالث عبد الكريم وإلى أعضاء هيئة التدريس وهم: الدكتور إلياس عثمان، و د. آدم عيوب بينشي، و د. أحمد حامد أحمد، و د. إدريس أبوبكر إمام، و د. مُحَمَّد كبير آدم، و د. مُحَمَّد آدم، و د. إسحاق صالح سليمان، و د. سلميان يوسف الصديق وغيرهم. فجزاهم الله تعالى بالخير. ولا أنسى شكر وتقدير إلى جميع زملائي، طلاب العام الدراسي ١٥/١٦. أسئل الله تعالى أن يجزيهم بما صبروا جنة وحريرا.

وأوجه بالغة شكر وتقدير إلى والديا والدي إلى أهلهما.

ونهي شكر وتقدير إلى زوجتي وأصدقائي، الذين لايسعني ذكر أسماءهم جميعا، منهم الحاج آدم عبد الله، أبوبكر أحمد، ومُحَمَّد معَاج، ويعقوب إلياس أحمد، وغيرهم، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، اللهم بارك على زوجتي، واجعل إحسانهم هذا في ميزان حسناتهم. والله خير الحاسبين.

ملخص البحث

يدور هذا البحث حول ترجمة قصة إسماعيل عبدالله القصير بعنوان "حصاد كراهية" الترجمة العربية لقصة إسماعيل عبد الله القصيرة بعنوان "A HARVEST OF HATRED". واحتوى الفصل الأول بموضوع البحث وأهميته وأهدافه ثم حدود البحث وهو ترجمة نصوص الكتاب بأكمله. وفي الفصل الثاني تناول الباحث الدراسة السابقة. وفي الفصل الثالث تناول حياة المؤلف: ولادة إسماعيل عبد الله ونشأته ودراساته. ثم تناول الدراسة النظرية للترجمة في الفصل الرابع. وفي الفصل الخامس والأخير، عرض الباحث الكتاب الذي قسمه الكاتب إلى جزئين من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وجعله الباحث تسعة مشهاد.

يشتمل الكتاب قصص قصيورة كما قسمها الكاتب إلى جزئين. وتحتهما تسعة قصة القصيرة أجدها بالذكر الحكايات النثرية، إنها قصة تدور على الشخصية جُونِيُو -الذي تمثل حياته ووطن أمه كإمرأة في شكل هزيلة والتي قضى حياتها مع رجل الغربي نصراني سُدًا من غير نفع. وأما جزيرة الحدودي: تركز على الشخصية أَمِينُ الذي ظهر عليه في الحلم الأمة المتخلف، والبلد بلا تطور كما بين عليه بين الخيال والعين. وأما جزيرة الختايزر: وهي قصة تعرضها الكاتب أنها تشابت حياة اعتقاد قوة الغربيين الأوروبيين والولاية المتحدة ومعاملتها مع الأفر يقية. والقصة في الحكم الإعدام: يشتمل الشخصية سَانِي وشوكس والمؤامرات التي جاء بها شوكس والتي كانت سبب موت سَانِي من أجل المرض الإيدز (HIV/AIDS) الذي اخترعه الغربيون الأوروبيون لأجل نقص عدد سكان أفريقيا وخاصة الأمة الأسود. وفي المشهد الرابع قصة تدور على الشخصية الغرور للطاهر الذي كان مغرورا لحياة بابا علي. وأما المشهد

الخامس فهو قصة الشخصية حَسَنُ وصديقه نُوحُ، وبعد هذا، جاءت قصة حصاد الكراهية - التي تدور حول الشخصية بآ- أحمد وأخيه شقيق يآ- عثمان الذين سكنوا في قرية إيتيزورُ، وما حدث بينهما من طبيعة الكراهية والحسد الذي عرضه يآ- عثمان بينهما مع كونه مسلم. وأما المشهد السابع فهي قصة التي تدور حول شخصية مصباح وأعضاء حزبه الذين اعتقدوا على القيام للدفاع الوطن.

لقد ختم الباحث في ترجمة هذا الكتاب بقصة غابة المرآيا التي تشتمل الشخصية مرآيا ووالديه حيث توفي والده قبل مولده.

فهرس الموضوعات

الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
ملخص البحث	ج
فهرس الموضوعات	هـ
الفصل الأول: المقدمة	١
الفصل الثاني: الدراسات السابقة	٥
الفصل الثالث: الدراسة النظرية للترجمة	٨
المبحث الأول: حول مؤلف الكتاب (إسماعيل عبد الله)	٨
مولده ونشأته	٨
إنتاجاته العلمية والأدبية	٨
مؤلفاته	٩
المبحث الثاني: التعريف بالترجمة	٩
المبحث الثالث: شروط الترجمة والمترجم	١٠
المشهد الرابع أنواع الترجمة وطرقها	١١
الفصل الرابع: عرض ترجمة الكتاب من الإنجليزية إلى العربية	١٤
إهداء الكاتب	١٤
الجزء الأول: جزيرة الحدودي	١٥
الحكايات المتعددة	١٥

٣٠.....	الجزء الثاني: الجزيرة الواقعة على الحدود.
٣٧.....	جزيرة الخنزير.....
٤٢.....	الحكم بالإعدام.....
٥١.....	الأنا المتغيرة لطاهر.....
٦٤.....	الرجال الساكنون الأرض اللامتحررة.....
٧١.....	حصاد للكراهية.....
٩٥.....	الجحيم بعد حظر التجوال.....
١٠١.....	أجمة مرايا.....
١٠٨.....	الخاتمة.....
١٠٩.....	نتائج البحث.....
١١٠.....	التوصيات.....
١١١.....	المصادر والمراجع.....

الفصل الأول

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على أشرف المرسلين القائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَاللّوَانِكُمْ اِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الروم الآية ٢٢]، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أولي الباب والنهي.

وبعد،

لقد هزّت الباحث الرغبة الشديدة في فنّ الترجمة، حيث إنه رأى أن ترجمة بعض الكتب الأدبية القديمة والحديثة التي ألفت باللغة الإنجليزية تحتاج إلى ترجمتها إلى اللغة العربية لتعم فائدتها الجميع، وأراد أن يظهر قيمة الترجمة من الفنون الأدبية، وأن يشجع القراء للكتب في اطلاع على الثقافات النيجيرية على وجه الخصوص، والثقافات الأفريقية على وجه العموم، وحاول الباحث أن يترجم قصة قصيرة ألفها الكاتب إسماعيل عبد الله باللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية إبرازاً لعبقريته الأدبية.

وانتهج الباحث منهج الترجمة، وهو المنهج التطبيقي في الترجمة لضرورية نقل معلومات نصوص القصة إلى فهم القارئ.

وفي إبراز هذا البحث أخذ الباحث طريقة نظام الفصول والمباحث، وقد وضع

هذا البحث على خمسة الفصول.

ولقد مهّد الباحث بالفصل الأول حيث بين أن موضوع بحثه هو "حصاد

كراهية" الترجمة العربية لقصة إسماعيل عبد الله القصيرة بعنوان "A Harvest of Hatred".

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع إبراز المحاولة القيمة التي قام بها المؤلف في

تأليف القصة، من جمع القصص، وعرض الحوادث، وتنويع الأفكار، وتقسيم

الأشخاص الأولية والثانوية، واختيار الأمكنة والأزمنة. ثم ذكر أهمية البحث التي منها إظهار مساهمة الأدباء النيجيريين خصوصًا في فن الترجمة. ثم ذكر أسباب اختيار الموضوع التي منها إبراز قيمة فن ترجمة النصوص من بين فنون الأدب العربي. وبعد ذلك ذكر الباحث أهداف البحث التي منها رفع الستار عما خفي من ترجمة الكتاب "حصاد الكراهية" من الإنجليزي إلى العربية. ثم ذكر حدوده البحث وهو ترجمة نصوص الرواية كلها، ثم ذكر منهجه كما سبق ثم ذكر مشكلته والتي منها عدم قيام أي باحث بترجمة هذه الرواية.

وفي الفصل الثاني تناول الباحث الدراسة السابقة وهي تزود الباحث بالنتائج التي توصلت لها الدراسات السابقة، ومن ثم يبيّن عليها الباحث دراسته وهو الهدف الأساس من الدراسات السابقة. على هذا، لقد حاول الباحث أن يبحث في بعض الدراسات السابقة ذات علاقة مباشرة مع مشكلته البحثية، وتلك التي ليست لها علاقة مباشرة.

وفي الفصل الثالث تناول حياة المؤلف وهو إسماعيل بن عبد الله من مولده ونشأته، وإنتاجاته العملية والأدبية، ومؤلفاته في المباحث الثلاثة. ثم تناول الباحث الدراسة النظرية للترجمة في الفصل الرابع، ويحتوي تعريف الترجمة في المبحث الأول، وفي المبحث الثاني شروط الترجمة والمترجم، وفي المبحث الثالث أنواع الترجمة وطرقها. وفي الفصل الخامس والأخير، عرض الباحث ترجمة القصة من الإنجليزية إلى العربية.

موضوع البحث:

"حصاد كراهية" الترجمة العربية لقصة إسماعيل عبد الله القصيرة بعنوان "A Harvest of Hatred of".

أهمية البحث:

إن كل عمل فنّ يجرى وراء أهمية خاصة، إما مباشرة أو غير مباشرة، وكذلك

هذا البحث المتواضع احتوى أهميته على النقاط التالية:

١. تزويد المكتبة العربية بدراسة فنّ الترجمة وتطبيقه.
٢. إظهار مساهمة الأدباء النيجيريين وخصوصًا في فنّ الترجمة.
٣. شجيع طلاب اللغة العربية في دراسة الترجمة وتطبيقها، في مراحل عملية أمثال الكليات والجامعات.

أسباب اختيار الموضوع:

لكل موضوع سبب اختياره لدى الباحث فيه، وأما الأسباب في اختيار هذا

الموضوع فهي:

- ١- إبراز محاولة مؤلف الكتاب حصاد الكراهية" في جمع القصص القصيرة فيه.
 - ٢- إبراز قيمة فن ترجمة النصوص من بين فنون الأدب العربي.
- حاجة الطلاب العربية إلى بعض العلوم الأدبية العصرية المتوفرة في اللغة المنقولة منها.

٣- الرغبة الشديد في فن الترجمة.

أهداف البحث:

الهدف هي الغاية التي يقصد الباحث الوصول إليه من خلال دراسته أو بحثه.

وأما الغاية هذا البحث فهي:

١. رفع الستار عما خفي من ترجمة الكتاب "حصاد الكراهية" من الإنجليزي إلى العربية.

٢. إظهار دور فن الترجمة النصوص.

٣. دراسة تطبيقية المعينة في ترجمة الكتاب "حصاد الكراهية" وتسلط الضوء على مدى تطور اللغة العربية في النيجيريا.

حدود البحث:

ويرجع حدود هذا البحث إلى ما تضمنه عنوانه وهو "حصاد كراهية" الترجمة العربية لقصة إسماعيل عبد الله القصيرة بعنوان "Hatred A Harvest of".
بأكملها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية لاغيرها. وعليه سيقف الباحث.

منهج البحث:

لقد اتبع الباحث في كتابة هذا البحث، المنهج التطبيق في ترجمة، وهي نقل معلومات النصوص من لغة ما إلى لغة ثانية. حيث يقوم الباحث بقراءة النصوص ودراستها دراسة أدبية في الأولى ثم ينقلها إلى الثانية. وإضافة إلى هذا يستخدم الباحث المنهج ترجمة المعنوية (Pragmatic Translation) وترجمة الحرفية من بين أنواع ترجمة.

مشكلة البحث:

وأما مشكلة البحث، فهي:

- ١ - عدم قيام أي باحث بترجمة هذا الكتاب.
- ٢ - ضرورة نقل معلومات نصوص الرواية إلى مفهوم المجتمع.

الفصل الثاني

الدراسات السابقة

لقد حاول الباحث أن يبحث في بعض الدراسات السابقة ذات علاقة مباشرة مع مشكلته البحثية وتلك التي ليست لها علاقة مباشرة، واستنتج ما يلي:

١ - إدريس خالد مصطفى "دراسة منهجية مقارنة بين المعجم الوسيط ومعجم أكسفرد" وهو بحث الماجستير قدمه الباحث إلى جامعة ولاية نصراوا، كيني، في سنة ٢٠٠٩م. وقد انتهج الباحث أسلوب المستحدثين في طرق الموضوعات.

وقد حصل الباحث على نتائج منها: أن مواد معجم أكسفرد جمعت عن طريق الآلات الإلكترونية المعينة، وأما مواد معجم الوسيط فقد جمعت باليد، الطريق التقليدي المعروف، فواجه الجمع الصعوبات أمثال البطء الشديد في تصدير الطبقات الجديدة للمعجم الوسيط وعدم وجود الفارق الجوهرى بين طبقات المعجم وتحديد حجم المعجم الوسيط (المداخل) بشكل عشوائى.

والعلاقة بين هذا البحث والبحث الحاضر علاقة غير مباشرة، حيث إن البحث شد اهتمامه إلى النظام المتبع في المعجم الوسيط العربى والمعجم أكسفرد الإنجليزى الذى يترجم منه الباحث إلى اللغة العربية فى أثناء مقارنته بين هذين المعجمين، والبحث الحالى يشد اهتمامه إلى ترجمة رواية كتبت باللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.

٢ - عبد القادر موسى أديويى ترجمة رواية "الآلهة لا تلام" (The gods are not to blame)، وهو بحث قدمه الباحث إلى جامعة إلورن، نيجيريا سنة ٢٠٠٤م، ويشتمل هذا البحث على ثلاثة فصول، ويتضمن ترجمة مسرحية أفريقية نيجيرية. وانتهج الباحث منهج الإضافات والتعليقات والبحث متفق بالمنهج.

وأما النتيجة التي توصل إليها الباحث فهي استطاعة الكاتب أن يرد ملام العقائب من الخسران والعذاب على المتدينين بالأديان المختلفة لا على من أو ما اتخذوه ربا من أرباب.

والعلاقة بين هذا البحث والبحث الحاضر هي العلاقة المباشرة، حيث إن هذا البحث يتركز على ترجمة مسرحية كتبت في اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، والبحث الحالي يتركز على ترجمة رواية كتبت باللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.

٣- موسى سليمان "أهمية ترجمة الخطب المنبرية إلى اللغة الإنجليزية وغيرها في نيجيريا"، بحث مقدم إلى جامعة ولاية نصرأوا، كيفي، وهو على مستوى الليسانس، في سنة ٢٠٠٧م. ويحتوي البحث على أهمية ترجمة الخطب المنبرية إلى اللغة الإنجليزية في الديار النيجيرية. وانتهج الباحث منهج التكيف حيث التجأ الباحث إلى العمل على تغيير محتوى وصيغة النص الهدف بطريقة تتوافق مع قواعد اللغة وثقافة مجتمع لغة الهدف. ويتوصل الباحث إلى نتائج أهمها جواز ترجمة الخطب المنبرية إلى اللغات المحلية لغير الناطقين بالعربية.

والعلاقة بين هذا البحث والبحث الحاضر هي أن هذا البحث ركز اهتمامه في الحديث عن ترجمة الخطب المنبرية، وأما البحث الحالي فسيركز اهتمامه على ترجمة رواية مكتوبة باللغة الإنجليزية إلى العربية.

٤ - يقين ينكا عثمان "ترجمة مسرحية (لقد جن جوزنا مرة أخرى) (husband Our has gone mad again)" وهو بحث مقدم إلى جامعة ولاية نصرأوا، كيفي، وهو على مستوى الماجستير، في سنة ٢٠١٢م، ويتضمن البحث مسرحية أفريقية نيجيرية.

وأتبع الباحث في منهجه أسلوب المستحدثين. وتوصل الباحث إلى نتائج منها:
استطاعة الكاتب، أولاً روتمي، أن يظهر نوعية السياسيين الأفارقة وطرقه
الملتوية وحيلهم الماكرة للوصول إلى السلطة.
والعلاقة بين هذا البحث والبحث الحاضر علاقة مباشرة؛ إذ إن كلا منهما
يتناول موضوع الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.

الفصل الثالث

الدراسة النظرية للترجمة

المبحث الأول: حول مؤلف الكتاب

مولده ونشأته:

هو إسماعيل بن عبد الله، ولد في بلد كَيَّ في يوم ١٧ نوفمبر عام ١٩٦٧م. وهو من قبيلة نوبي، نشأ الأستاذ إسماعيل عبد الله في بلد كَيَّ إمارة كَيَّ ولاية نيجير نيجيريا وترعرع فيها، وبدأ فيها المدرسة الابتدائية.

إنتاجاته العلمية والأدبية:

وفي السنة ١٩٧٥م دخل مدرسة مركز الابتدائية بليي وانتهى عام ١٩٨١م وفي هذا العام ١٩٨١م، انتقل إلى المدرسة الثانوية الحكومية بَلَيْمُ وخرج منها عام ١٩٨٦م وبعد ذلك ذهب إلى جامعة أحمد بلو زاري سنة ١٩٩٢ وخرج منها عام ١٩٩٧ حيث نال شهادة للسانس في أدب اللغة الإنجليزية، ثم في السنة ١٩٩٩ استمر بدراسات العليا في نفس جامعة وفي عام ٢٠٠١ نال فيها درجة الماجستير في الشؤون الدولية والدبلوماسية. وما زال فيها بدراسات العليا السنة ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٧ حتى نال شهادة. "دبلوم الدراسات العليا التعليم" في نفس جامعة ومن ثم استمر في دراسات العليا للمرحلة ماجستير في نفس جامعة، أحمد بلو زاري عام ٢٠٠٦ وخرج فيها سنة ٢٠١٢ حيث نال شهادة الماجستير في أدب اللغة الإنجليزية. ومؤلف الكتاب (A harvest of hatred) "حصاد الكراهية" الأستاذ إسماعيل عبد الله الآن يشارك دراسات العليا مرحلة الدكتوراه في جامعة أحمد بلو زاري.

مؤلفاته:

ومن أهم مؤلفاته: هذا الكتاب "حصاد كراهية" (A harvest of hatred) وبعده

ما يلي: من المؤلفات:

- ١- (NULGE) وإدارة الحكومة المحلية إدارة ولاية نيجر.
- ٢- الأخ الأشرار (قصة الأطفال)
- ٣- قضايا المعاصرة في الدراسات الإجتماعية (لطلاب المرحلة كلية التربية والجامعات).
- ٤- خطة تمكين الشباب والوظيفية (إطار للتوليف).
- ٥- عبد القادر عبد الله كُورى الرجل بتفويض أثره الباقي.
- ٦- علامات حذف (شعر).
- ٧- الإسلام في إمارة لبي؛ من ١٨١٦ حتى الآن.
- ٨- آفة دودة الأرض (الشعر).
- ٩- الشياطين والقصائد الأخرى.

المبحث الثاني: التعريف بالترجمة

الترجمة في الأصل نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، وتقول فلان ترجم الكلام أي بيّنه وأوضح معانيه، أي بسطه وبيّن مقاصده مفهوما. وهي علم فنّ نقل الكلام المعبر عنه بلغة إلى لغة مطلوب فهم هذا الكلام بها، سواء كان هذا الكلام شفهيًا أو مكتوبًا. ومن الناحية التاريخية ليست الترجمة بفنّ جديد، بل هي قديمة قدم الأدب المدوّن - أي منذ ترجمة ملحمة جلجامش البابليّة إلى خمس لغات آسيوية في القرن الثالث قبل الميلاد^١. والحقيقة، أن العرب هم أول من قام بعمليات النقل والترجمة على

١ - موسى سليمان، رعاة البقرة الأفريقيون، بحث علمي ماجستير، جامعة ولاية نصراوا، نيجيريا، ٢٠١٨م،

نطاق واسع مركزة على التراث اليوناني الفلسفي والعلمي ثم اتسعت حركة الترجمة ونشطت منذ عصر النهضة حتى إذا ما أطال القرن العشرين تتفاعل وتنمو مع ازدياد المؤلفات العلميّة والأدبيّة وحاجت الشعوب الناطقة بلغات مختلفة للتماشي مع التطورات العلمية في العالم. فكانت الترجمة، ولا تزال، تلعب الدور الأساسي في تبادل العلوم بين الشعوب. وهي في ازدياد مضطرد، والحاجة إليها هائل، طالما هناك علوم معبر عنها بلغات مختلفة.

المبحث الثالث: شروط الترجمة والمترجم

المترجم الذي هو المسؤول عن عملية نقل الكلام من مفهومه في التعبير بلغة إلى ما يناسبه من المفهوم نفس الكلام في لغة أخرى، والترجمة ذاتها الشروط التي تجب أن تتوفر فيهما لصحة الترجمة:

أ - التمكن من اللغة المنقول عنها، وكذلك المنقول إليها.

ب - متانة النصّ وبلاغته وتمام معناه، ويركز أساسيين مهمين:

الأول - الأمانة في النقل نصّاً وروحاً، ومقدرة الترجمة وإلمامه باللغة وأمانته في هذا العمل.

الثاني - اختيار المصطلحات والتعابير - لا سيما تلك التي تندرج تحت باب النوع العلمي - كالفيزياء والرياضيات والكيمياء وغيرها. لذا ينبغي على المترجم أن يكون ملماً بالمصطلحات والتعابير المختلفة، عارفاً بتعدد طرق استخدامها، مما في اختيار المناسب والمطلوب منها، وإلا سيأتي النص المنقول رقيقاً ضعيف التركيب فاقداً للمعنى.

ج - فإذا كانت الترجمة فنّاً، فإن المترجم هو ذلك الفنّان الذي يبدع في فنّه ويجعل له معنى وفائدة. ويجب أن يتوفّر في هذا الفنّان بعض العوامل:

١ - إجادة اللغة التي ينقل منها وإليها.

٢- إجادة القواعد اللغوية التي تحدّد القنوات الفنيّة التي تنقل خلالها الأفكار الواردة في النصّ الأصليّ.

٣- إجادة خاصّة لفروع العلوم التي يقوم بالنقل منها وإليها، مع الإلمام بمصطلحاتها. والقدر الأعظم من مفرداتها.

٤- الأمانة في نقل الأفكار الواردة في النصّ الأصليّ ونقلها بلغة واضحة وسلسلة مفهومة إلى المترجمة إليها.

٥- محاولة بناء الفكرة في أسلوب مشابه إلى حدّ كبير للأسلوب الذي كتب فيه النصّ الأصليّ.

٦- إظهار القطعة المترجمة بنفس روح القطعة الأصليّة.

المبحث الرابع: أنواع الترجمة وطرقها

١- الترجمة الحرفيّة

هي أصدق وأجود الترجمات، إذ يقيد المترجم بالمعنى وبحرفيّة الكلمات والعبارات،
مثلا:

Internal displacement in Azerbaijan is direct consequence of the conflict over the territory of Nagorno-Karabakh, a Mountainous Black Garden covering some 1, 700 sqare miles in western Azerbaijan.

شرد داخلي في أذربيجان هو نتيجة مباشرة للنزاع حول الإقليم ناغورنو- كاراباخ، حديقة جبلية سوداء تمتد على بعض مساحة ١٧٠٠ ميل مربع في غرب أذربيجان^١.

والعبارة "بلاد الشام" مثلا تترجم حرفيا بالإنجليزية:

"Land of Syria." "أرض سوريا"

١ موسى سليمان: رعاة البقرة الأفريقيون، بحث علمي ماجستير، ص ١٦، جامعة ولاية نصراوا، نيجيريا،

٢- الترجمة غير الحرفية

وهذه تركز على تصرف المترجم بالنص عند نقله لتأدية المعنى، خاصة إذا

وجدت المجازات والإستعارات والجناسات اللفظية ويتعذر ترجمتها حرفيا، مثلا:

Internal displacement in Azerbaijan is direct consequence of the conflict over the territory of Nagorno-Karabakh, a Mountainous Black Garden covering some 1, 700 square miles in western Azerbaijan.

يعتبر الشرد الداخلي في أذربيجان نتيجة مباشرة للنزاع حول إقليم ناغورنو- كاراباخ،

وهو منطقة جبلية خصبة^١ الذي يمتد على مساحة ١٧٠٠ ميل مربع تقريبا في غرب

أذربيجان.^٢

٣- الترجمة بتصرف

يقوم هذا النوع على درجة عالية من المرونة، بحيث تتم فيه عملية التبديل

والحذف والتقديم والتأخير والإقتباس ... الخ للكلمات والعبارات. وهذا النوع

يستخدم بكثرة في ترجمة الكتب والمجلات والقصص والأشعار^٣. فالعبارة "بلاد الشام"

مثلا قد تترجم بتصرف في الإنجليزية:

"Greater Syria." "سوريا الكبرى"

ومثلا:

Many Arabic translations of the Bible-especially of the Gospels-doubtless circulated in medieval Spain.

١ a mountainous and fertile region

٢ موسى سليمان، رعاة البقرة الأفريقيون، المرجع السابق، ص ١٧.

٣ عز الدين محمد نجيب (الدكتور)، أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس، ط ١، ص ١٩، القاهرة،

مكتب بن سينا، ٢٠٠٥ م.

ولا شك أن العديد من الترجمات العربية للكتاب المقدس، ولا سيّما الأناجيل، انتشرت في اسبانيا في القرون الوسطى^١.

٤ - الترجمة الفوريّة:

وهي تستخدم بكثرة في حقوق الصحافة والنقل المباشر للقاءات واجتماعات ومقابلات وألعاب الرياضة. وهذه تحتاج من المترجم إلى درجة عالية من المهارة والسرعة في الاستيعاب والرد والتمكّن من اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها.

٢ موسى سليمان: رعاة البقرة الأفريقيون، بحث علمي ماجستير، ص ١٧، جامعة ولاية نصراوا، نيجيريا،

الفصل الرابع

عرض ترجمة الكتاب من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية

إهداء

إلى منتصر، وإسماعيل، وصالح
الذين يطلعون على الخطوة الوعرة للتقدّم عن قريب،
مع كونهم حَلَقَةً وَصِلِ وَثِقَةً حُبِّ...

الجزء الأول

دَعُونَا نُسَجِّلُ الذَّرَاتِ مِثْلَمَا خَطَرْتُ عَلَى بَالِنَا.

-فرجينيا وولف-.

الحكايات المتعددة

من خلال مَوْشُورٍ مَرْوَّعٍ، نظر جُونِيُو وطنه الأُمَّ نظرةً معقَّدةً - يبدو أن صورتها تَعَكِسُ على باله صورةَ امرأةٍ مهزولةٍ، يرتبط أسلوبُ حياتها المعقَّدة بقصة حياته - تقف امرأةٌ مهزولةٌ مُبَعَّدَةٌ نَاشِجَةً في زاويةٍ من زوايا غرفةٍ. وتترأى له أنها مُسْتَعْرِقَةٌ في تفكيرٍ حزينٍ، ربما هي تَنْدُبُ حياتها الماضية وكَذَحها التي ترجع إليها دائماً كبركاني متفجِّر. هكذا كانت حياتها بركانيةً وعاصفةً. حياةٌ مليئةٌ بحكاياتٍ ذات غِشَاءٍ خَلِيعٍ في سلسلةِ ابتهالاتٍ بغيضةٍ. لحظاتٌ مضت مع الرجال الأوروبيين... في صفوة شبابها. فعندما بدأت في التخلُّص من حياتها الشائبة... ونَهَّدُها الرِيَّانَ، كالينبوع المُبْهَجِ، فَتَنَ جميعَ الفُسَّاقِ. بسطت فخذها إلى الرجال الأوروبيين وحُذَّامهم السُّود ورؤساء العَمَّال في مواقع البناء، كأنهما مجرى النهرين الواسعان. ونهَّدها المتمدِّد المتعرِّج كتعرُّج أفعوانيٍّ امثل في موقع البناء، فَقَدُوا وَعَْيِهِمْ؛ حتى هؤلاء قليلو الخبرة في المكر. وخاصة أولئك الضعفاء والمغفلين من السود الذين يقودون أحلامهم إلى التدمير.

أعطت كل شيء، استمرت القصة... والآن مهزولة، عاد إليها كل شيء. خاصة مجرد دويِّ التجربة: هَتِكُ عَرَضِهَا من أخيها الشقيق. لم تستطع رفع رأسها

لمواجهة أخيها. فأخفت وجهها براحتها ثم تنهت قائلة: "يا الله، لماذا جعلتني أرى هذا اليوم"، وأفحمت بشكل متقطع.

وكان أخوها يقف هناك أيضا - جزءاً من الجسد. يبدو أنه غير متعهد، لم يكثر بمثلك عرض وطنه الأم. إنما كانت جميلة وإن كانت هزيلة. ونهدا الواسع، وعينها المثيرة للشهوة، ونهدا الريان الجذاب - مثل مواردها المعدنية - كلها جعلتها غير مقاومة. تلك هي الحيل التي آنس نفسه بها. من الذي لا يستأنس بعنصرها الطبيعي! ولكن لا أحد يريد زواجا بها. كان لديها خطاب مؤقتون، أولئك الذين أقرؤا بحبها لكنهم انتهوا بتلهم؛ أولئك الذين لم يتعهدوا أي تعهد في سبيلها. لأنها من خارج الزواج تم حبها، وكان ذلك مزعوماً غير شرعي. اتخذها حقاً بنزعاته الشديدة بحضور جونيور. لا يمكن أن يفعل ذلك إلا بطريقة أخرى؛ حتى لو كان تعدياً لجونيور البريء في هذه العملية. لكن مبادرتها لم تُسعف أموراً في شيء. لكنها تضعه في مركز حرج، وتمسه بجسدها إغواءً شديداً له. ستغويه ببسط فخذها أو نهدا، أو بمجرد تربية شفيتها وغض عينها. "لكن، أنت رجل"، ستقول تملقاً. وأصلاً، اتخذها علامة عريضة. وفي الوقت، لم تصبح تصادفياً بدرجة أقل.

"يا لبراعتها التي عرضت على السرير ويا لحافظتها على ذلك"، كان يصور ذلك.

"ولكن، لماذا هي تبكي الآن على فساد الزوجية"، قال بصوت عالٍ.

وابتسم.

وكان الهتك بعرض وطنه الأم عنده تحزراً، وكان يستحم في حرية الاختيار.

"هل يمكن أن يكون ذلك هو القدر؟ أو الحرية؟ أو الامتياز؟ على أية شاكلة. أن تكون مبتزة بدون أدنى مائتة في الواقع. وكان قد أجال الفكر متبجحاً.

"لكن، يا إلهي! لماذا جعلتني أرى هذا اليوم؟ وقَدَّامَ جونيور تمامًا. "يا الله، هل تجعلني أفعل ذلك معه أيضاً؟" للمرة الأولى تحدّثت بوضوح.

"أجل، يا جونيور. هو يكبر بسرعة أيضاً. سرعان ما رامت إحساساً بما رُمْتُ." لا! لقد تفكّر في ثنايا نفسه. وعشوائياً تنقل بسرعة من الغرفة للتفتيش عن جونيور الذي اندفع من الغرفة في الحال. وجده في الممرّ متكئاً على السيكة الحديدية. تراءى جونيور متفكراً وغافلاً عن حضوره.

خملق إلى جونيور وقال على أثر تنفّسه: "إن اقتربت إليها، سأقتلك." فتلوّى وسار مفتخرًا.

انقضى الوقت، ولكن جونيور لم يتغلّب على صدمته قطّ. ولم يتوقّف من التعجّب أيضاً. "كيف يمكن أن يفعل ذلك للوطن الأم؟ لماذا فعل ذلك؟" هذه هي التساؤلات التي ظلّ يتساءل نفسه. كان قد رغب كثيراً في الإجابة على ذلك المونتاج المنتقل بسرعة، الذي حاول كسر براءته. لكنه كان مجرّد حُرْمَةٍ من انفعال. شعّر بحيرة رُغم ذلك. ونشأت الإحنة في نفسه من ذلك الحدث إلى إكّابه. "أيّ سبيل من العالم؟" كثيراً ما يتعجّب.

حافظ جونيور على إحنة حيّة له منذ ذلك الحدث، ولم يخفها.

"لماذا فعلت ذلك لها!" يلومه. فنظر إلى جونيور بنظرة فاترة. ولم يدّر أضحك أم يبتسم لبراءته؛ وانفعاله.

ثم استطاع أن يقول: "ستعرف عندما تكبر،" وقلّب شفّته فقط. وتقريباً قال ذاهلاً: "يا لها من آفة زوجية..."

"وما تلك؟" تساءل جونيور من جديد.

"هَوْنٌ عليك. ستعرف عندما تكبر. أنت فقط تتساءل تساؤلاتٍ في غير وقتها"، قال الجملة الأخيرة برصانةٍ فلسفيّةٍ.

تساؤلاتٌ في غير أوانها؟ ماذا يقصد ذلك؟ ما أمكن أن يقصد ذلك؟ ما هو فوات الأوان نحو التساؤلات؟ لا يمكن أن أطرح التساؤلات في أيّ وقتٍ أريد؟ ليس صحيحًا أن أطرح تساؤلاتٍ وأجيب على ما لا أعرفها؟

"يا لذكرى ذلك. من الذي لا يمكن أن يكون أليفاً... ثم تعتبر أنها لا تزال فتانةً في سنّها..." ثم اقتحم في فكر جونيور.

"كيف تجرؤ على أن تقول شيئاً عنها مثل هذا. ذلك دعارة"، عدله جونيور.

نظر إلى جونيور بنظرةٍ نادرةٍ. "إنه مجرد طفل"، تفكر في نفسه. فحدّق جونيور إليه مقلّة العين بمقلّة. ولم يكن خائفاً. وأخيراً يمكنه أن يتحمّل محنته الآن. من وقتذاك خطر ذكرها على باله ثانيةً. عادت إليه صورتها النحيقة. لم تكن بدون جمالٍ. تعيش فقط في هامشيّاتٍ مجّدها. صار جسدها منكمشًا لم يكن إلى حدٍّ بعيدٍ بسبب سنّها سوى تعامل معها محبيها المختلفين. لقد قادوها إلى عدوةٍ هذا الدمار الذي كان فوق الوعي. كانت في الحقيقة فوق الوعي مثل الضفائر المتشابكة على رأسها. كل من كان على اتصال بها لم يكن أقلّ إعجابًا بجوهرها المفرط. لكن كلهم رفضوها دائماً لأنّها عجوز شمطاء. "عجوز شمطاء؟ ولكن لماذا؟" تساءل جونيور فاتراً في تأملاته.

كان تعلقُ جونيور بالوطن الأمّ مواطنياً وغير قابلٍ للشرح والتحرير. وكان لها تأثيرٌ مُستبَدُّ عليه حيث ترعرع حثيثاً مثل حُلُقِ الأيام في عصره الرقيق. عصره،

المقدار الدائم للانتقال، قد شَمَّع كُلاً من عضلاته وأتجاه عقله. وكانت صورتها الآن
مُخطّأً في وعيه؛ مركزاً وتسلسلاً من الواقعيّ واللاواقعيّ. وفي الثامن عشر من
العمر، حَبَكَ العَصْرُ لطائف الإدراك في عقله، لا سيّما استغلاله في الجنس
البشري. ودفعه هذا إلى ساحل الحيرة، من تساؤلاتٍ طلباً من إجاباتها في أوانها
المناسب؛ ووصل للفهم الإضافي إلى غصن حاجز النهر:

"امرأة... الوطن الأم؟ ما هي حدود الإدراك التي تتحمّل هذا المركز الحي؟
هل الحياة واقعيّة أم مثل جماعٍ جنسيّ؟ هل يمكن أن يكون الجماع حياة؟" يناجي
جونيور نفسه كأنه استلقى أمام الشلال المذهل.
"أليست الحياة مثل هذا الشلال... موجة، وعُلق... يأتي بعضها إثر
البعض."

"أجل، أجاب صوت من داخله. "الحياة في الواقع مثل الجماع الجنسي.
مليئة باللحظات السارة والقاشدة. مثل وميض الضوء، واللحظات لا تدوم
طويلاً، مثلما يُمكن أن تنتهي في أي وقت. وعلى الرغم من ذلك، فإن
الاستحثاث على الحياة مثل الإلحاح على الاستحثاث الجنسي. ومن ناحية ثانية،
التمسك بالجماع الجنسي كحياةٍ ذاتها تدلّ على فلسفة الدّيّانة. إنه تحالفٌ مع
الشذوذات الإنسانية المخترعة كلها- وحشية فاسدة فحسب. فساد الزوجية مثل
انتهاك حرمة الدولة..." "فساد الزوجية" تساءل جونيور.

"أجل. الحقيقة هي إن هذه العمليّة تخرج عن الإطار الهيكلي للأخلاق
المقبولة. لكن لا تكثر، لا يمكن لأحد أن يكون مقدّساً تماماً. الجميع عرضةٌ
لشكلٍ واحدٍ من أشكال المثريات الشهوانيّة أو الآخر."
"أمنهم أنا؟" تساءل جونيور.

"نعم، بشرط أن يكون لديك الشهوات، والضرورات، والحاجات، والاقْتِضَاءَات العادية. تعرف أن هذه ضروراتٌ ملحّةٌ لا تشبع."

"ولكن لماذا كان ذاك كذلك؟"

"إنها ظاهرة. الروح البشرية غنية بالمكافحة. إنها في بعض الأحيان تَنْقَلُ مضطربةً وتَتَعَدَّى وراء النطاق الأخلاقي من أجل أن تكون مشبعةً."

"أليس هذا بعُدْرٍ؟"

"لا، أبداً. على الأصحّ، مثل هذا الإدراك هو جوهر الحياة المضيء. إماماً بأن المرء عرضةٌ لذلك، أو مَرِنٌ لذلك عن طريق القدر، وليس بمتكاملٍ."

"أأكون مَرِناً كذلك؟"

"نعم، بالتأكيد."

"لماذا؟"

"لأنك لست معصوماً."

"وهل يمكنني أن أجد موقفاً للحياة، ونوعاً من الخُلُق الأساسي؟"

"نعم، يمكنك ذلك. ولكن لا تكن صالحاً أو ملائكياً."

"أنا مرتبك. ماذا أفعل في هذا الموفق؟"

"لماذا كنت مرتبكاً؟ أنت ناشيءٌ جدّاً من أن تقوم بتشويش الأشياء. تذكّر

أن درسك على تكامل التوقّعات.

وهذا ما يجعل التوقّعات المحبّذة للأشخاص الآخرين تُصَمِّمُ على تصرّفاتك.

بعد ذلك، ما أنت إلا وجودٌ متكاملٌ لعملية الحياة."

"التوقّعات المتكاملة!" تَرْتَمِ جونيور عَقِبَ تَنْفُسِهِ. شعر ببرودة الماء في

قدميه."

"في الواقع هذا غذاءٌ للفكر،" تأمل جونير.

جَهَّزَ غصن النهر لجونير نسمةً ليتأمل. لقد أصبح نوعاً من ملاذٍ له. تمنى أن يذهب هناك كل يوم ليتناجى نفسه. تمنى أن يجلس بجانب الرافد الذي اندفع من ملتقى النهر. تمنى أن يغمس قدمه في الماء وهو يتدفق دون مُؤذٍ. فبنت فكره مثل تيار الماء الذي كان يتدفق لاندماجٍ في ملتقى عملية الحياة التي استلهمَ فهمها. كُنَاشِيَّةٌ تمنى جونير خاصيةً نادرةً لعملية تفكير، ورغبته في معرفته الأكثر عن الحياة التي كان يبدأ أن يعيشها. كان له عددٌ قليلٌ من الأصدقاء ونطاقٌ اجتماعيٌّ يسيرٌ.

اللحظات التي كان دائماً يقضيها في حاجز النهر عندما شعر بِطُرُوقٍ مسحيٍّ من الطبيعة دفعه للارتباط بالسلامة العقلية حيث يكافح من أجل الوصول إلى تفاهم. حاول أن يفهم معنى فكرة التكامل التوقعي.

"هَبْ أَنْ هُناك أناساً يتوقعون أن أكون سيء الخلق، وأن أتصرف بالشكل اللاأخلاقي، وأن أشعر بالانتماء الذاتي، الذي هو توقُّعهم الموالي لي."

"ماذا أفعل؟ أيجب أن أصطنع ما يتناسب مع توقُّعاتهم؟ أم أخيب أملهم باصطناع العكس؟ أسأكون مخطئاً؟ أسيزدروني ويسخرون مني؟

ثم أجاب الصوت مرةً أخرى من نفسه، وهو وسيط.

"لماذا سيتوقع كل امرئ أن خلقت سيء، لأخلاقي؟"

"لكن الناس في هذه الأيام يفعلون حتى لو في ما يتصل بالتصرف اللاأخلاقي. ويرون أنفسهم كعاديين. إنهم يتوقعونك أن تكون مشغولاً بأن تنتمي، وتحمّل الاعتقاد."

"أي الاعتقاد؟"

"طبعًا، الاعتقاد المنحرف واللاأخلاقي."

"أنا أحبّ تحديدك للاعتقاد. حسنًا أن تعرف أنك تفكر فيه على أنه

لأخلاقي. هذا هو التفكير الجيد."

"ولكن، تعرف أنّ الاعتقاد يمكن أن يكون مُكْهَرِبًا عندما يُرْجَى منك أن

تتحمل. وإيذاؤه يمكن أن يُقَاوَمَ؛ والثناء المكتسب هو الاحترام الذي يَمْنَحُكَ

التحمّل. أنت مقبولٌ متجاوبٌ كـ"ابن الوطن". يمكن أن يكون ذلك هو الرجاء

الإيجابي الذي تعرفه."

"إلا أنه يمكنني أن أستكشف أنّك تكره هذا الاعتقاد من الطريقة التي

تتفكّر. هذه هي الطريقة لمقاومة إيذائها. هي أن ترفض أن ترى الأشياء بالطريقة

التي تتفاعل. طبعًا، يمكنك أن تكون شيئًا آخر."

"كيف؟ ومن أين أبدأ؟"

"استمع الآن جيّدًا. ابتداءً بك، ينبغي لك تدرك ثلاثة دروسٍ. الأول هو

إيمانك بالله كعمادٍ إرشاديٍّ للفضائل. ثانيًا، أن تنظر إلى حوالي بيئتك القريبة

حصولًا على نموذجٍ أو بعض نماذجٍ لِمَا تُقَدِّرُهُ من السلوك الحسن. والناس الذين

تحترمهم للغاية، هم الذين تظن أن يرونك محترمًا. هم الذين يمكن أن تُصَادِقَهُمْ

على تغيير ذاتك. ثالثًا، في أعمالك الخاصة أيضًا، لا بد أن تجتهد في الحفاظ على

السلوك الأخلاقي حتى لا تُحَيِّبَ أَمَلَكَ الذاتي بنفسك. ولكنّ فوق ذلك، أن لا

بدّ لك أن لا تُحَيِّبَ ظَنِّكَ في الله. بهذه الطريقة ستصبح مثالًا طَيِّبًا لِنُظَرَائِكَ

والذين سيأخذونك كَقُدْوَةٍ أيضًا."

"ارتجاءً، أن تصبح هذه السلسلة النموذجية وسيلةً حقيقيّةً للتجديد."

صار جونيور مُذْهَلًا. لم يتوقّع ذلك من قبل هذه المشاهد الواقعية للتفاهم.

"إذا تتبعت هذه الدروس دينياً وأظهرتها في سلوكك ستري ولو من أخيك الذي كثيراً ما يحتقرك سيُبجلك. سوف يكون وطنك الهزيل هو الأفضل لك."
بعدئذٍ إن زُقزقة الطيور والحشرات قد ملأت الهواء. ويمكن سماع دوران الشلال من بُعدٍ. اعتمد جونيور على أفكاره وعداً بتذكر الدروس. "لا بد أن أتصرف هكذا"، قال وهو يتوجه إلى المنزل.

"ها، ها ها،" اندفع صديقه في ضحكٍ بدون مَرِحٍ لَمَّا درس العمل الفني في يده. أجال نظره إلى الصورة: وهي المنظر السطحي الصخري كشف عن صورة امرأة نصل لوئها، ذات بطنٍ ناتيءٍ متفاوتٍ أضوى من ناحية المنكب. وطرف ثوبها الشبيه بالقلم الذي انطرح على رأس قلمٍ مداده الحبر الجاف؛ وجدعها التام انطرح على أرجلها النحيفة التي كانت أفرطت في الطول العادي. أقيم على خلفيّة مَرِجٍ في الشمس السافعة بعُلوِيّه.

أحضر جونيور صديقه الملاصق ليري محاولته لإنعاش استحواذه على وطنه الأم.

"ما هذا؟" تساءل صاحبه ساخرًا. فاجأ جونيور هَيَجَانُ صديقه. نظر إليه

مقابلاً لوجه مباشرةً.

قال متكلِّفًا للابتسام:

"إنه رسم كاريكاتوري للوطن."

"افترضت أنها حاملٌ لأجل المستقبل."

بتظاهرٍ جدًّا، قال الصديق:

"حامل" لأجل المستقبل. لا يُصدّق!... يعني... هذا على الأصحّ عجيبٌ وبليدٌ. "أصدر الصديق انتقاداً بصراحةٍ بما أنه تبدّى على كرسيّ خشبٍ مصنوعٍ بمهارةٍ في بوصة ١٠/١٢.

كان جونيور مُنْدهِشاً بُرْهَةً. لم يستطع أن يفهم التركيب الخبيث لصديقه. ثم شرعَ يُفكِّرُ مَلِيّاً في تجربته للتصوير الزيتي. كان معتقداً أنّ لديه فرشاةً تحت سيطرة الحكمة المتميّزة، يمزج الطلاءات بحيث تُصبحُ الصورةُ مزخرفةً على ذهنه. كان معتقداً أنه زوّده بالنباهة السامية الكافية للتأثير في شيءٍ مُمِلٍ أيضاً. "ولكن إلى هنا صديقي يُبعدُ كلَّ هذا باعتبارِ أنّه خَيَالِيٌّ - وربما هو هَزْلِيٌّ"، اعتقد ذلك في نفسه.

"وهل ذكرت حملاً لأجل المستقبل؟" في هذه المرة، تساءل الصديق سهواً، حينما كان يندفع إلى تفكير جونيور.

أجاب جونيور على مهلٍ وعلى كُرْهٍ:

"نعم، ماذا عن ذلك؟"

"حسناً، في رأيي، لقد أظهرت عكس الواقع. والحقيقة هي، لعل المستقبل هو الذي سيكون حاملاً لأجل الوطن الأم إلى حدٍّ أنّ سنقول: إن المستقبل يحمل الخير لها."

"طبعاً، لم تكن حاملاً لأجل المستقبل. ماذا ستُنْجِبُ؟" قال في النقطة الأخيرة ساخرًا تمامًا.

كان جونيور مذهلاً. كانت التراكيب له أكثر مما ينبغي. انتزع التصوير الزيتي بقوةٍ من يد صديقه. بدون أن يقول شيئاً، أخذ باب الخروج من ساحة الدار واتجه حالاً إلى البستان في ساحةٍ حول الدار. وفي البستان كان هناك أربع

بِلاَظٍ صُلْبَةٍ كَانَتْ كَمَقَاعِدٍ. جَلَسَ عَلَى مَقْعَدٍ وَاحِدٍ مِنْهَا، وَأَسْنَدَ إِطَارَ التَّصْوِيرِ
الزَيْتِي إِلَى حَضَنِهِ. أَخَذَ نَظْرَةً بِالغَاةِ فِيهَا.

أَصْبَحَ جُونِيُورٌ وَاعِيًا بَعْدَئِذٍ. شَعُرَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى سَهْلٍ مَعَيَّنٍ -مَنْبَسِطَةً
لِتَفْكِيرٍ- حَيْثُ انْفَجَرَ مَحْوَرُ التَّفْكِيرِ مِنَ الدَّخْلِ نَفْخَةً كَامِلَةً عَلَى حَسَاسِيَّتِهِ،
أَحْسَنَ بِكُلِّ مَسْحَةٍ مِنَ الْوَاقِعِ فِي قَبْضَتِهِ. كَانَ لَهُ سَيْطَرَةٌ كَامِلَةٌ عَلَى تَرْجُحِ الْمَوْنِتَاجِ
لِلْوَاقِعِ، أَوْ بِالْتَالِي أَحْسَنَ بَعْدَ تَنْوِيرِ الْاسْتِنْتَاكِ الْمَنْطَقِيِّ بِشَكْلِ يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ.

وَانْتَقَلَ إِلَى هَذَا الْمَضْمَارِ الْحَسَّاسِ بِقَرَارٍ مُحَدَّدٍ- قَرَارٍ نَاضِرٍ مِثْلِ الْحَاضِرِ
الْمُسْتَبَدِّ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ الْوَاتِقَةِ مِنْ نَفْسِهِ. مَعَ هَذَا الْحُضُورِ الذَّهْنِيِّ الَّذِي دَخَلَ إِلَى
غُرْفَةِ الْاسْتِقْبَالِ الْمَتَدَاعِيَةِ لِمَدِيرِ الْفُنُونِ فِي وَزَارَةِ ثِقَافَةٍ فِي هَذَا الْمَسَاءِ الْمَشْمَسِ. كَانَ
ذَهَبَ إِلَى هُنَاكَ لِمُنَاقَشَةِ النُّسْخَةِ الْمَعْدَلَةِ مِنْ رَسْمِ كَارِيكاتِيرِيٍّ لُوطنِهِ الْأُمِّ. وَكَانَ لَهُ
التَّصْوِيرُ الزَيْتِيُّ سُحِبَ سَالِمًا تَحْتَ إِبْطِهِ أَثْنَاءَ دُخُولِهِ إِلَى غُرْفَةِ الْاسْتِقْبَالِ.

فِي الْغُرْفَةِ، كَانَ هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْوَسَائِدِ وَرَجُلَيْنِ عَلَى وَسَادَتَيْنِ مِنْهَا، عَلَى
مَا يَبْدُو، نَصَبُوا نَظْرَهُمْ إِلَى التَّلْفِزِيُونِ. وَمَوْظِفَةٌ اسْتِقْبَالٍ تَجَثُّو عَلَى الزَّوَاوِيَةِ الْيَمْنِيِّ مِنَ
الْغُرْفَةِ. كَانَتْ طَاوِلَتُهَا خَالِيَةً، وَاسْتَعْمَلَتْ يَدَيْهَا عَلَى إِبْرِ حَيَاكِيَّةٍ.

"مَسَاءُ الْخَيْرِ،" أَوْمَأَ إِلَيْهَا جُونِيُورٌ.

مَسَاءُ الْخَيْرِ، كَيْفَ حَالُكَ؟" أَجَابَتْ.

"أَنَا بِخَيْرٍ. أُوَدُّ أَنْ أَرَى الْمَدِيرَ."

"لَا بَدَّ أَنْ تَنْتَظِرَ. هُوَ مَشْغُولٌ الْآنَ."

قَالَتْ دُونَ أَنْ تَرْفَعَ نَظْرَهَا.

"شُكْرًا لَكَ،" قَالَ جُونِيُورٌ، فِي خِيبةِ أَمَلٍ.

وبمجرد أن انحطَّ في واحدةٍ من الوسائد، آنس أن الإذاعة المرئية في قناعة CNN. نظر إلى ساعته. كانت الساعة الواحدة والنصف مساءً. هداً ونظر بتوقُّد الذكاء إلى الإذاعة المرئية. فَهَمَّ أن البرنامج الذي كان يُعْرَضُ برنامج السؤال والجواب، وكان الموضوع: "هل ينبغي للبلدان التي تعاني قلةً الغذاء أن ترفض الطعامَ الجينيَّ المعدَّل؟"

وكان الاهتمام أن بلدًا في جنوب الصحراء الكبرى الأفريقي يعاني من أزمةٍ غذائيةٍ صارمةٍ قد رفض معونات الغذاء الجينيَّ المعدَّل من الولايات المتحدة الأمريكية. تمت مقابلةٌ خبيرٍ في التكنولوجيا الجينية.

فجأة، تم إشعاعُ الصورة الضبابية للأشخاص المصابين بالذهول والمصابين بالجوع على الشاشة. كانت مجموعةٌ من الناس اجتمعوا في أكواخٍ مبنيةٍ على أرضٍ ممتدةٍ فيها أشجارٌ جافةٌ ومواشٍ ميتةٌ. يَسْبَحُ الذبابُ حولها. ربما لم يأكلوا لمدةً أسابيع أو شهور. ثم ركزت الكاميرا على مجموعة من عشرة أطفال يأكلون ما بدا وكأنه عصيدةٌ قذرةٌ في وعاءٍ صغيرٍ. تراوحت أعمارهم بين عشرة واثني عشر. تصل الرائحةُ النَّتنةُ من أجسادهم ورائحة الثياب البالية إلى منْحَرِيّ جونيور. لقد انزعج. شعر بِالْمُفَاجِيءِ لِلاذِعِ للغضب الذي يرتفع فيه.

وفجأة أحسّ بتنويمٍ مغناطيسيٍّ من مشهد الجوع. وتقريبًا، استحضر عقله أحدًا من الأطفال بطريقةٍ خارجةٍ عن النطاق العادي وخارجةٍ عن الصندوق التلفزيوني لاستجواب.

"كيف وصلتَ إلى هذه الحالة؟" راح في التحديث. بمجرد أن فتح الصبي فمه ليتحدّث، صوّتت عظامه كلها، وصوّتت أضلاعُ الصبي وكأنها ستستأصلُ.

كان قد استولى على جونيور الخوف. وكان يخشى أن يسقط الصبي ميتاً في أيّ دقيقة. سبب ذلك فيه القلق إلى حدّ بعيد.

"هَيَّا، أخبرني،" حث الصبي بِثَرَوَانِ.

ثم أفرغ الولد جهداً للتحدث، وفي هذه المرة بنجاح قليل.

"لا أمطار... لا طعام... في وقت طويل"، وقد بَعَبَ.

"ولا أحد ليساعدكم؟"

"لا... لا أحد يساعد."

"ما شأن حكومتكم؟"

"حكومة الجمهور... جاءت مرة واحدة، بلا عودة"

ارتجّ صوتٌ صريرٍ بابٍ قريبٍ له فأخرجه عن حُلْمِهِ اليَقِظِ. تراجع عن شِبْهِ نشوته الوضعي. ثم خرجت سيدةٌ طويلة ذات بشرة صهباء من الغرفة، تَلَاهَا رجلٌ ذو بشرة سوداء، وبطن نافخ، ومتوسط الحجم. نظر جونيور إلى الزوجين حتى وَرَدَا على موظّف الاستقبال. جاء في الوقت ليراها وضعت إبر حياكية بعيداً. "الرئيس هاهنا." قال في نفسه:

"هؤلاء الناس ينتظرون رؤيتك يا سيدي"، قالت موظفة الاستقبال بينما

تقدم الرجل إلى الأمام.

فسرعان ما وقف جونيور والرجلان الآخران في الغرفة. ولكن قبل أن

يتمكّن أحدٌ منهم من أن يقول شيئاً، طردهم الرجلُ بشكل لطيف.

"آسِفٌ، تستطيعون أن ترجعوا في وقت آخر. ليس لي وقت الآن"

قال هذا لِتَوَّهِ، وتبع السيدة إلى خارج الغرفة. بعد دقائق، سمع جونيور

صوت السيارة تغادر المباني التابعة لهم. لقد أدهشَ حتى لا يستطيع أن يقول

كلمةً. وبدون أن يضيع وقتًا، ودّع موظفة الاستقبال وذهب. مشى سريعًا كما لو أنه في عجلة لإخفاء التجربة. ولكن لما اجتاز، صارت الصورة المنحرفة للشعب المصاب بالجوع أنس لمّا في ذاكرته. كما أنس خيبة الأمل هذه! ثم عزى نفسه بأبيات من قصيدة قرأها منذ فترة قريبة: "ورثة اللاشيء الآن، وأعلم أننا سنشتفي بجلجلة الحكمة من مشرطة الأغنية."

الجزء الثاني

المجتمع الأسود يُشبه سلّة من السرّاطين التي كلّما تحاول إحداها أن تخرُج صاعدةً عن أُخرها جُذِبَتْ إلى الورااء.

رالف إيسون

كاتب أفريقي-أمريكي

الجزيرة الواقعة على الحدود

بدأت له الجزيرة ذات منظرٍ مُشوّهٍ: أسقفه متقشّرة، وطرقها متقلّصة، تعدّل سير المركبات، وبيئة متحطمة، تنوعت فيها قطعاتٌ معماريّةٌ مُقدّرةٌ، ولاحظ أن سلوكيات الناس كانت مؤحوشةً جدًّا. إن كل شيء بالنسبة للجزيرة قد ظهر على نقيض المعايير المناسبة للحضارة المقبولة. لم ير أمين شيئًا مثل ذلك من قبل في حياته كلها: تَقَهُّرُ حركة الأشياء إلى الوراء، والسلوك المنحرفة لشعب الحدودي... تبدّى كلُّ شيءٍ مختلفًا رائعًا. والسؤال الذي طرأ على ذهنه عندما واجه المشهد الشاذّ هو "هل لهؤلاء الناس الطاقة الإراديّة للتحرك إلى الأمام مهما كلف الأمر؟" تعجّب عندما وضع نظارته في عينيه ليقوم بتجربة الجزيرة بأكملها...

انقاد أمين إلى الكلية صباح الأربعاء ليقوم ببعض الأعمال. وكانت الساعة العاشرة صباحًا. وكان الجو المحيط بكلية العلوم الإنسانيّة مستقيمًا نسبيًا. كانت رياح الموسم البارد في ذروتها مما جعل الناس يَرْتَدُونَ بثيابهم في أساليب مختلفة. وبدأت تحركاتُ الطلاب النشيطة المعتادة ذهابًا وإيابًا؛ وكان يُسْمَعُ الدويّ العرَضِيّ لأصوات آلات التنبيه للسيارات وقد امتزج بالأصوات العالية النغمة من ظلال الناس المختلفة يتدقّقون ذهابًا وإيابًا خارج الكلية. وبكلّ افتراضٍ، كان هذا النشاط المرتبك يُمَثِّلُ جوًّا متميزًا للحياة المستقرّة. لكن نسبيّة. يمكن أن تُفسح المجال للفوضى، خاصة عندما يصبح الطلاب شديدي الاحتياج وهم يهتفون بأغنيتهم "ألوتنا": التضامن إلى الأبد! ولم يكن هذا أدنى ما كان يتردّد! وقد ذاع صيحتُ جامعة زيتون للتأييدات المنفعلة تقريبًا بإدارة قضايا المطحنة.

على الرغم من أن هذا اليوم الخصوصي، استمتع الجامعة بجوٍّ متميزٍ للحياة المستقرّة. أصبح أمينٌ، محاضرٌ في قسم التاريخ، سَيِّمًا. وأصبح مُزْرَقًا من الإرهاق. المهمة المرهقة للبحث الذي كان يقوم به كانت تمامًا مُتْعِبَةً.

لا لأنه لم يكن معتادًا على إجراء البحث. ولكن الطبيعة المتميزة لتعهد هذا البحث المعين كانت مطالبةً. منذ أن قام ببحث الموضوع لأطروحة الدكتوراه، لم تتوقّف ذاكرته عن التفكير فيه. كان يفكر بجِدِّ في الكتابة عن هذا الموضوع: "الثقافات المتخلّفة: رجل في القرن الواحد والعشرين". لكنه كان في حيرةٍ من طريقة فهم الموضوع.

مع أنه نجح في وضع شيءٍ للأطروحة المقترحة كان يكتب لعدّة أسابيع الآن. كان لا يزال غير مُقْنِع. وكان بصراحةٍ له بضعة أيامٍ لتقديم الأطروحة المقترحة. وهذا الأمر جعله يعمل أثناء الليلة السابقة بدون نوم.

لقد حارب النوم بجرعاتٍ من الطنبول.

من أجل ذلك عندما قاد سيارته إلى المكتب في هذا الصباح، كان بعينين ناعستين. كان تأثير الطنبول قد تبدّى وصارت عيناه فجأةً ثقيلةً بالنوم. بعد إيقاف سيارته تُؤبوتًا كأمري الزرقاء بجدارة، أخذ حقيبته وتوجه مباشرةً إلى مكتبه. واعترف ببعض تحياتٍ من زملائه والطلاب حينما كان يذهب. وكان أمين شابًا قوِيّ البنية شجاعًا. كان في أواخر ثلاثينياته. وهو كطالب الليسانس في جامعة الزيتون، وكان مجتهداً ودَكِيًّا. وكان ذلك في أثناء ذروة الفِضِّي للمحاضر، البروفيسور مانترا، الذي كان مشهورًا بسبب انتقاداته التي لا قيدٌ اتِّفَاقِيٍّ فيها للمؤسسة. وكان أمينٌ آنذاك شابًا في مستوى الليسانس في قسم التاريخ حيث كان البروفيسور مانترا رئيساً. وكان البروفيسور مانترا أكثر ذكراً للتعبة الفعّالة لعددٍ

كبير من الطلاب اعتراضًا على سياسات السلطة المركزية. نظّم محاضراتٍ مُضادَّةً لصندوق النقد الدولي التي أدركتها السلطة المركزية كتحديٍّ وغيرٍ محتملٍ. وتم نفيُّه خارج البلاد بعد ذلك، ليصير أجنبيًّا.

كان أمين واحدًا من هؤلاء الطلاب الذين جهّزوا المقاومة في الاستيقاظ لذلك النفي الذي وصفوه بأنه استهلالٌ لاستنزاف العقول. ونشدوا شعارهم المؤلف.

- التسفُّل للمؤسسة.

- التسفُّل للحكومة الصُّوريَّة.

- لا لجرعات صندوق النقد الدولي القاتلة.

اجتذبت تلك الانتفاضة غضب السلطة المركزية؛ لم تغير سياستها. وقد تم وضع الشرطة المتنقلة المضادَّة للشغب في الحرم الجامعي لقمع الانتفاضة. وبعد ذلك، فقدَ بعض الطلاب حياتهم بينما تم إثبات الهويَّة لقادة النقابة وطردها من الجامعة مؤقتًا. كان أمينٌ محظوظًا إلى حدِّ ما لهروبه من ذراع القانون الطويل. ولحسن حظِّه مرة أخرى، تم الاحتفاظ به لإلقاء المحاضرة في القسم. الآن كمحاضر، كان قد أفرط نموًّا لمثل هذه النزعات المنفعلة. أهداه ارتباطه بالقضايا الفكرية الجزء الأفضل منه.

بمجرد أن حمل أمين جسده القصير القوي الممتلئ إلى عتبة باب مكتبه استغرق في التفكير في الأطروحة المقترحة غير المكتملة. في حينٍ هو بالباب، سقطت عيناه على اللصيقة التي على بابه والتي كتب عليها: "أنا فخورٌ بأن أكون عازبًا". وابتسم لنفسه. لم يسبقُ أنه فكر في الزواج. أدخل مفتاحًا في ثقب المفتاح وحوِّله. قلب

مقبض الباب وفتحته. سار إلى مكتبه سريعاً؛ مُلقياً نظرتَه على رفّ الكتب بيمينه. وكان الرفُّ محتزناً بالكتب. وكان مُعَبِّراً أيضاً.

انتقل إلى جانب طاولته وأخفض جسده القصير القوي تحت الكرسي. بعد ذلك بقليل شعر بألم مفاجئ من التعب. ثم وضع حقيته اليدوية على الطاولة. لم يشعر بفعل شيء حتى الآن. وكان ضعيفاً. فوضع رأسه على الطاولة ليستريح بُرْهَةً قبل أن يفعل شيئاً. كان له الكثير من الأعمال، مثل حساب التقييم المستمر لطلابه وفوق ذلك تجهيز مذكرات المحاضرة لطلاب الدراسات العليا.

ونام بعد دقائق. لقد وصف النوم بمنزلة نصف الموت. المنزلة التي تترك فيها الروحُ الجسدَ ويُعْمَى عليها. لحظة الانقطاع الانفرادي عندما تتحول الروح من الحالة الراهنة إلى حالة الحياة الماضية حيث تسكن جسداً مختلفاً وتستعيد الحياة الماضية. من خلال آلية الإدراك الكامل -دمج الوعي الشخصي والجماعي- يرى المرء نفسه يصير ملكاً، ولقطة كبيرة، وعسكرياً كبيراً جريئاً، ونماذج أصلية أخرى مختلفة وسط تيار الأنشطة التي تمثل حياة المرء السابقة. تذوقُ هذه الحياة في الماضي هو جزئياً ما تدور عليه أحلامه، لكن الأحلام تستطيع أيضاً أن تُحَدِّرَ ما يحتمل أن يحدث للشخصية البارزة في الحلم.

مهما تكون الأحلام، سافرت روح أمين في الوقت الحالي من خلال السماء العلويّ وهبطت على جزيرة الحدود. هناك أظهر نفسه مع كراسة ملاحظة، وقلم وزوجين من نظارات. كان يلبس قميصاً أزرق فوق سراويل جنزيرة سوداء مع جزمة الغابة. وبدا بين شعب الحدود غريباً. وتأثق، في حين كان شعب الحدود غرباء في الجبلّة والميل. وامتازوا بميزة معينة، والتي كانت واضحةً لأمين وحده...

ومن اعتقاده، كان سگان الحدود يسيرون إلى الخلف، وحتى سياراتهم بدت وكأنها تتحرك إلى الوراء. ومن خلال زوجي النظرات، كان بإمكانه رؤية كل شيء يتحرك بالاتجاه إلى الخلف. على الرغم من أن الناس أنفسهم لم يصدقوا أنهم يسيرون إلى الخلف، وكانت سجيتهم القذرة ارتفعت في قلب أمين إلى مأزق كبير. ولذا أوقف أحدهم ليسأل لماذا سار إلى الوراء. وكان الرد الذي لاقاه فظيلاً.

"ربما أنت الشخص الذي يسير إلى الوراء. كما ترى أنا أمشي إلى الأمام"، وأشار إلى تحرك قليلاً.

لكن بالنسبة لأمين، ما زال الرجل يتحرك إلى الوراء. ولم يكن أقل إثارة للغضب. ولم يكن مندهشاً بدرجة أقل. وكان متبدياً احتياجاً لإثبات نفسه أنه مخطئ. وكان رأى كل شيء بما في ذلك الحيوانات تتحرك إلى الوراء. "نعم، حتى الحيوانات". وضع نظارته في عينيه أيضاً لأن يكون متيقناً أشد التيقن بأن عينيه لم تغتره. التفت إلى الجنب وما زال ينظر، ورأى العادة نفسها. وتساءل في نفسه: "هل كان الظلام؟" ويبدو أن الجزيرة بأكملها تترنح تحت جو غائم. ويبدو أنه مُظلم له.

"لماذا ليس هناك ضوء؟" استعلم من الرجل نفسه.

"هل لديك خوف مرضي للضوء؟ لا ترى الضوء في كل مكان؟"

أجاب الرجل وهو ينظر محبباً للاستطلاع من أمين. ولعل يتعجب من أي

نوع من الشخص الذي كان.

"وهناك"، أشار أمين إلى مجتمع كبير، "ما الذي يصوت هناك مثل بعض

الحشرات الملتفة؟"

"أوه، تلك، إنها صناعة تنتج مبيدات حشرية. هل يتحرك إلى الوراها أيضاً؟"
تساءل الرجل ساخرًا.

"أنا... أنا... أعتقد ذلك. أعتقد أنه يترنح أيضا. "هذا المكان يحتاج بالتأكيد إلى بعض مبيدات الحشرات"، وقال أمين الكلمة الأخيرة بشكل غير مسموع "اهن... هل قلت شيئاً؟" تساءل الرجل.
"لا، لا تُبال".

أخذ أمين نظرة أخرى على البيئة بأكملها. يمكن أن يرى فقط خطوطاً من الضوء تُنقَط الجزيرة الآن مثل اليراعات المتعجبة. كانت الخطوط كافية للكشف عن تقشُر أسقف المنازل في الجزيرة، ومراعاة الموقف القدير لشعب الحدود. كتب في كراسة ملاحظاته: هذه حقيقة دراسة حالة.

هنالك استيقظه صوتُ بابه. لقد ارتعش في الوقت المناسب لرؤية شاب ينسحب بعناية من مكتبه إلى التحرك إلى الوراها.
"من ذاك؟" صاح.

عاد الشاب فجأة وقال:

"أنا، يا سيدي. أنا آسف لإزعاجك. جئت فقط لأدعوك إلى محاضرتنا القادمة."

"هل أنت واحد من شعب الحدود؟" طلب أمين شارداً الذهن تماماً.

"أنا آسف؟" قال الشاب محاولاً فهم ما قاله أمين.

"أوه، لا تُبال. يمكنك الذهاب. سأكون معكم في أقرب وقت، "أذن أمينُ

انصراف الشاب، فمسح وجهه. كان أمين يتعرق كثيراً مثل من كان قد ذهب إلى مدينة أشباح.

نهض من كرسيه ونظر إلى ساعة الحائط. كان نائما لمدة ساعتين. مشى إلى حوض غسل اليد وحوّل الصنبور. إنه نقّ فقط وتوقّف. ولم يخرج ماء. أراد أن يغسل وجهه. ثم انتقل إلى تشغيل المروحة. لكن لم يكن هناك الكهرباء. في حالته العاجزة ابتسم لنفسه وقال عَقِبَ تَنْفُسِهِ: "ربما هذه جزيرة الحدود الأخرى". خرج من مكتبه بعد ذلك.

جزيرة الخنزير

أصوات بعض صفارات غريبة - تناسق إدراكي ذو شقين - تطقُّ فس جزيرة الخنازير كلّها مع حيويّة ملحوظة مثل ستارة حديدية سميكة. والأصوات التي كانت مُبهمّة غريبة تأتي من غرب النهر وشرقه. وفرو الخنزير الساذج الأصيل والأسود يُقلعُ رَصْدًا للأصوات. وذلك أن أصوات سمك الرنجة الحمراء هزّت أساس الجزيرة من عُمقها، ومنذ ذلك الحين لم تكن هي الجزيرة نفسها مرة أخرى.

تأثير الصافرات الغريبة غريب بشكل مضاعف. يتركب أسقامهم الظاهرة والأحوال المتقطعة. الخنازير والخنازير الصغيرة جميعها تُعاني مرض النُّكاف. وعلى الرغم من هذا، وفي الاستجابة عن الصغير الداعي، تظهر الخنازير المخلصات الساذجات في صفين طويلين وملتويين باتجاه الريح التي تحمل الصغير.

تحت خيمتين منفصلتين، ينتظر اثنان من الأولاد الكبار دُفعتهم من الخنازير الصغيرة. يبدو أنهم يستمتعون بالوقاية التي توفره خيامهم ضدّ الشمس القاسية. الجو بينهما متوتر بشكل بارد وممتلئ بالإحساس. من بينهما هناك نوعٌ من التوتر غير القابل للتفسير الذي لا يضطرب في الخنازير الصغيرة. في الواقع، لا تكون الحرارة غير متصلة بالطريقة التي يتخذها كلٌّ واحدٍ للميل إلى الخنازير الصغيرة. مع أن كل واحد منهم يعتقد أن أسلوبه أكثر تفوقًا على الآخر، وبرغم ذلك، كل واحد منهم يشكّ في ذلك، ويراقب بحذرٍ تحرك الآخرين.

من ناحية أخرى، الخنازير الساذجة لا تقبل سوى الاتعاض بموعظة ناصحيتها المخلصين بكلِّ وجدانٍ. في محاولتهم لإعجاب ناصحيتهم المخلصين، يُولدون الكثير من الحقد حيث كانوا يُهدّدون بتدمير الآثار الأقلّ ظهوراً في جزيرة الخنازير في ذلك الحين. في الواقع، في بعض الأحيان عندما تهبط الفُشارَةُ، تُشعل النار

على بعض الخنازير الصغيرة المتعلِّلة بأسقامها. في أوقات أخرى، يَنْفُخُ الأولادُ الكبارَ على الجِمارِ بين الخنازير بتعمُّدٍ كلما كانت مصالحهم تختلف عن الأغراض في جزيرة الخنازير. وفي مثل هذه الحالات، سينظر بعضهم إلى البعض بنظرة ازدراء؛ نظرة تقول بمراوغة، "أنا على علم بوجودك." يا أيتها التمردات التي تُؤلِّد مثل مظهرٍ في أحوال كثيرة!

في الوقت الحاضر، عندما تُبَوِّقُ الصفاراتُ مرةً أخرى، فإن الخنازير الصغيرة تلتوي بلاهةً نحو الناصحين المخلصين. إنها تبدو سخيفةً جدًّا في هذه الطريقة. على عتبة الخيام، تتوقَّفُ الخنازيرُ لإعادة وضع سنَّة شعائرهم المعهودة: تُثني على الناصحين المخلصين كالصالحين الذين كان نفوذهم المعروض مطلوبًا لإنعاش الجزيرة؛ لعلاجه عَجَزٌ نَافِذٌ؛ يشكرون ناصحيهم المخلصين لإعادة الكَشْفِ لهم عن نقطة الضعف في هذه الجزيرة المتلوثة. هذا التبجيل هو حقًّا مشهدٌ للنظر! والأولاد الكبار ليسوا أقل دغدغة بالأداء. إنه يملأهم بجزٍّ من الرضا عن النفس والأنانية. ويجعل كل منهم يقول تَبَجُّجًا في نفسه، "أنا أفوز."

عندما تنتهي الشعيرة، يفتح الأولاد الكبار رُزْمَتَيْنِ مختلفتين وبيتدوون في إطعام الخنازير الصغيرة. وكانوا يطعمون بجميع أنواع التغذية - بعض منهم أصدقاء أجماء للغاية، في حين أن الآخرين عُفٌّ مُعْرِضُونَ للإقناع.

شعور الخنازير الصغيرة بالاقتناع بذلك سوف يكون ثرثرةً فقط.

"ما هو أفضل تغذية من الخام، مقدارًا ضئيلًا جدًّا وحثالةً نجد هاهنا".

والولية التي تأتي عادةً في فطرات بشكل متقطع تنتهي بعد بضع دقائق. في

الوقت الراهن، تُرضي الخنازير الصغيرة. والأولاد الكبار يَظْهَرُونَ كذلك مهذبين.

ومع ذلك، يُؤدُّون هذه الرسالة الغامضة مختلفةً وزائفةً.

"يا عبادي اذهبوا بشِّروا بالإنجيل. احترموا الوصايا التي كنتم تستطيعون أن تبدلوا."

بعد ذلك، يرتدون على طريقهم فرادى وفي السرِّ، تاركين الخنازير الصغيرة المربكة منطلقين على التوافق المشين. هذه هي حركة العلاقة بين الأولاد الكبار والخنازير الصغيرة، وهي أولوية. وقبل الوضع الحالي الكئيب لجزيرة الخنازير، هناك الوضع الضخم المكتز المتعود الذي كان هادئاً. برغم أنّها منطقة مظلمة تُقطنُ فيها الخنازير الصغيرة التي استنفدت أعدادها لأجل المجاعة والغزوة الداعرة، وكان ذلك اجتماعياً. لهذه الجزيرة تاريخ طويل الأمد يمكن عزوها إلى العديد من زريبات الخنازير المدمرة والمتعرضة للخطر. ومع ذلك، ما تبقى من الخنازير يكافح عن الرِّمانة، وشَجَبَ أن يطوف بحثاً عن مقدارٍ ضئيلٍ من الطعام النيءٍ وحثالة منه. هذا يجعلهم عرضةً للوضع المهرج للأولاد الكبار مع الشوكات السامة. كانت الشوكات مرسومة لتحسين أناجيلهم إلى حدٍّ وخاصة في المنطق المعرضة للخطر تبشيراً مثل جزيرة الخنزير. وعندما وصلوا إلى الجزيرة، يَعْزُّون في الوهلة الأولى الخنازير الصغيرة الساذجة برُزَمَاتٍ متنوعة، وصيغٍ من الشوكات. وفي وقت، تجرد الخنازير الصغيرة الشوكات لا تُقاوم، ويبتلون بطلقات النار على بعضها البعض. وعندما سقطوا متوحشين على الأرض في حشدٍ كبيرٍ، يصلّي عليهم الأولاد الكبار عقب أنفاسهم:

"يا رب، اغفر لهم، لأنهم لا يعرفون ما يفعلون."

تنقلع الخنازير وحدهم إثر ما تقع على الأرض. ثم تصير جميع الجزيرة حقوداً للخنازير الصغيرة المصابات بالشيطناني. هذا يجذب الأخ الأكبر الذي يصل إلى هناك في الوقت المناسب لرؤية الأعمال اليدوية الدقيقة للأولاد الكبار.

ما ذا... "الأخ الأكبر يُلقي سؤالاً ولكن من طريق الاستشعار بوجود الأولاد الكبار، وفاق فواقاً بدلاً من ذلك. ثم ابتسم. يبدو منزعجاً بوضوح بينما يمشي نحوه. وعوضاً من توبيخهم، يدعوهم إلى مظلة. ثم يمسح الأولاد الكبار أيديهم علانية، يضربون الخنازير الصغيرة ضربةً عنيفةً، ويتبادلون اللمحة، ويقدمون تعهداتٍ مختلفةً بالتعويض قبل دخول المظلة.

وفي غضون ذلك، لا يزال الأولاد الكبار يمتلكون نظاراتهم في الميدان للحفاظ على جزيرة الخنازير. عند اللزوم فقط! كما أنهم يحافظون على إيماءاتٍ علاجيةٍ متقطعةٍ بنسبة الخنازير الصغيرة وفي الوقت نفسه يجدون طرقاً لعلاج الجزيرة من ويلاتها.

وهكذا، فإن العيد الذي احتفله الخنزير الصغير هو مظهرٌ من مظاهر العديد من الإيماءات العلاجية المتقطعة المخططة لها.

وتحت المظلة، الأخ الأكبر؛ والأولاد الكبار والاثنتان الآخرا يجلسون حول طاولة. جدول الأعمال هو مصير جزيرة الخنازير المقفرة. الهواء حواليها هو ذلك التفاني الجادِّ لِعِلَّةٍ. الواجب هو الحفاظ على الهدوء المطلق في جميع جزيرة الخنازير. يبدأ الأخ الأكبر الذي يترأس الاجتماع: "يؤكد التقرير الذي توصل إلينا أن جزيرة الخنزير مهجورة، وأن الخنازير الصغيرة السريعة الغضب تهدد بتحطيمها. هذا يثير الضحك من قبيلهم.

"ماذا سنفعل بعد ذلك؟" يسأل أحد من الأولاد الكبار.

"طبعاً، تأيِّد على البرنامج العلاجي الذي نقوم به هناك. أعتقد أن ذلك

سيساعد كثيراً"، أحد من الملاحظتين الساخرتين.

"ولكن، ما هو سبب دمار الجزيرة في المقام الأول؟" يسأل الآخر.

"هناك ثلاثة أسباب: السذاجة وقسوة الفؤاد وسوء التغذية. أنت تعرف كيف تعيش الخنازير الصغيرة في بركة صغيرة موحلة وحي الفقراء!
"ماذا تتوقع؟" يقول الأخ الأكبر.
هو يحترم الآخرين ويقلب نظره إلى الولدين الكبيرين.
"لدينا مسؤولية لتحسين وضعهم"، زاد إلى حدّ اللاهتمام البالغ.
"نعم، نعم، أنت على حق"، يتفق الجميع في انسجام تام.
وبعد بضع دقائق انقطع النقاش حول القهوة، قاموا بتأجيل الاجتماع -
حيث أجلسوا مصير الجزيرة، وهكذا.

تمر الأيام ولا تزال جزيرة الخنزير تجرع هدف الوضع الاجتماعي. يتدهور كل دقيقة. ويترك اليأس في كل يوم يمر للخنزير الصغير العاجز. ماذا للتخريب الذي قدموه في الجزيرة.
ويبدو أن الأولاد الكبار والأخ الأكبر يكونون ملزمين. يظهر على ما يبدو أن الأولاد الكبار قد خضعوا للتحول. لأنهم عندما يظهرون في المشهد مرة أخرى، يكون المرء قوياً وجريئاً، في حين أن الآخر يلبس ويرتجف بصعوبة.
ثم يتحول الضحك للنظر إلى الآخر ويتسم:
"أنت غير قادر على ضربي إلى ذلك"، يعلن ويتعد. ثم يصفق مرة أخرى والخننازير الصغيرة في عمود واحد تأتي معاينة، ثلاثة أضعاف وتسقط مع البطش الضرب نحو معلمهم الجديد-الصبي القوي. الخنازير! هو الآن يملي اللحن. يتم تنفيذ الطقوس المعتادة ويتم إعطاء نفس الرسالة. ثم عادت الخنازير إلى الورا. الصبي القوي يتسم! "مصير الخنازير المريضة؟ النكاف"، كما يقول تحت أنفاسه وهو يتحول بعيداً حقيقاً.

الحكم بالإعدام

جلس ثاني مُلصِقًا بالمقعد الذي وُضِعَ استراتيجيًا قُبالة المختبر. كان ظهيرة يوم الثلاثاء الحار، وكان مستغرقًا في تفكيرٍ حالمٍ وغافلٍ عن جرِّ القدمين عندما كان الناس يمشون مرورًا ليغيبوا إلى عدّة أجنحةٍ داخلٍ أو إلى العكس للحصول على بطاقاتهم الاستشاريّة. كان المختبر مُكعّبًا والذي حاذى مدخلها ممرّ المدخل الرئيسي إلى مستوصف مائيّ فُلاوَرز. جلس ثاني مباشرةً أمام مدخل المختبر.

بعد دقائق، سار مستبدًا إلى المستوصف، وحصل على بطاقة استشارية وانتظر برهةً قصيرةً قبل أن يذهب لرؤية الطبيب. وقد أخبر الطبيب أنه جاء لإجراء اختبار فيروس نقص المناعة البشرية. وكان قد أعطى قطعة من الورق لرؤية الخادم المختبر. من خلال كل ذلك لم يخن أيّ عاطفة. يقال إن كل من يزور طبيبًا هو إما أن يكون مريضًا أو مريضًا في المستقبل.

ومع ذلك لم يكن ثاني مقتنعًا بأنه سوف يكون مريضًا. بعد بضعة أيام، كان قد افتخر لأصدقائه بأنه لم يكن خائفًا من إجراء اختبار فيروس نقص المناعة البشرية. قال لأصدقائه: "ليس أمرًا يُخاف منه."

على أية حال، من الأفضل عدم القيام بإجراء الاختبار على الإطلاق،" قال خضر بحذر.

"ماذا فيه؟ يجب على الرجل أن يرضى بقدره على أية حال" حمّس ثاني. "ولكن ليس عندما قد مات القدر. أعني كيف سيعيش المرء مع ذلك القدر؟" حقيقةً بدا أحمد خائفًا عندما قال تلك الكلمات.

"ولكن لماذا الجميع يخافون من الموت. أليس الموت باستقرارٍ... وليس هناك الفرار منه على أية حال." ذهب ثاني فلسفيًا.

الثلاثة منهم كانوا طلاب السنة النهائية في جامعة الزيتون. وكانوا جميعاً في كلية العلوم الاجتماعية. بينما كان ثاني طالب العلوم السياسية وكان كل من خضر وأحمد في قسم الاقتصاد. كان ثاني طالباً بارعاً، اجتماعياً ووسيمًا جدًا وإن كان جاء من خلفية متواضعة. كان من عائلة متعددة الزوجات حيث كان والده، الحاج عثمان، رأسها. كان الحاج عثمان ضابطاً من ضباط الأركان في وزارة السعادة الاجتماعية وتنمية المجتمع. وكان له أربع زوجات وُلدَ له خمسة عشر طفلاً. ومن خمسة عشر منهم، كان ثاني هو المحظوظ وحده الذي ذهب إلى الجامعة. وكان اطراداً لعائلة شمال، أن تزوجت خمسة منهن بعد إتمامهن التعليم الثانوي. واثنان من إخوته الأصغر سنًا فقط قد تمكّنان من الذهاب حتى كلية التربية. بعد ذلك، تضاءلت الهمة إلى أقصى من ذلك فباشرن الوظيفة من قبل حكومة الولاية. وكان أربعة أولاد آخرين لا يزالون في المدرسة الثانوية، وثلاثة في المدرسة الابتدائية. وكان الحاج عثمان يأمل بحدوث أن يصبح ثاني في يوم من الأيام معيل الأسرة. وكان الحاج عثمان في منتصف الخمسينيات من عمره.

وكان ثاني الطفل السادس لأبيه والأول لأمه. وكان طفلاً مجتهداً والمُعياً. كانت نتيجته في مدرسة دنغي الثانوية، حيث انتهى منها، مثيرة للإعجاب. كانت نتيجته في مدرسة دنغي الثانوية التي تخرّج فيها رائعة. تحصّل على أربعة ممتازات وخمس جيدات. اعتقد الجميع أن لثاني مستقبلاً مشرقاً، وأنه سوف يخطو شأواً بعيداً في الحياة. وكان التفاؤل الذي حظي به من مؤيديه يتثبّت عندما حصل على دراسة العلوم السياسيّة في جامعة الزيتون.

لكن بعض أفراد أسرته لم يكونوا متفائلين إلى حدّ بعيدٍ وبالتالي جعلت والدته تُصدّقه. وكانت والدته، هاجرة، قد أخبرته بأن زوجة أبيه، لأديدي، وهي الزوجة الأولى من الزوجات الأربع، كانت تزور المرابط للتأكد من أنه لا ينجح في الحياة. وأنّ

لأديدي كانت مصممةً على تنقيصه إلى شخصٍ تافهٍ مهما كلف الأمر. كانت غيورة! لكن ثاني غير مكترثٍ بذلك. "أمي، لا تقلقي بمثل هذه الأشياء. الله يرى ويراقب كل شيء. وممنه، لا تنجح ضديّ مكيدةُ الشّرير إلا ما شاء" قال ثاني في واحدة من مناقشاتهما الخصوصية.

"آه، أنا أعلم أن الله يرى كل شيء. لكن، ثاني، يتذكّر دائماً أن هذه الحياة حياة حرجة، لن تعرف أبداً ما الذي سيصيبك إذا لم تنظر بعناية شديدة." إلى أن يدوسك على حذرٍ فيُحرق قَدَمَكَ. لقد حذرت والدته.

كانت هاجرة الزوجة الثانية للحاج عثمان. لكن كانت هناك علاقة سُلاليّة بينها وبين الزوجات الضرّات.

"سأكون على حذرٍ، أمي. والله بالتأكيد سيهديني ويحميني"، قال ذلك تقرُّبًا. حمل ثاني هذا الموقف التضرّعي في الجامعة. لكنه لم يستطع التمسك به لفترة طويلة. وبعد مدةٍ قصيرةٍ بدأ إقناعه الأخلاقي بالاستسلام لإغواء الجسد. لم يتمكن من الوقوف على الأرجل المرتبة في الاكتساء المقصور، بل كان تألّفه كذلك يتمثل كالشّهْد الذي جذبهن إليه في أزيز الطائرات. على الرغم من أنه خرج من طريقه عدة مرات للمشاركة في الدعارة، مع ذلك كان على حذرٍ جدًّا من عدم الخروج عن دراساته. وكان يبدو في سنته الثالثة بالجامعة صالحًا لأن يتخرّج إمّا بالدرجة الأولى الممتازة أو الأقل بالدرجة الثانية العليا. وكان قد عمل لأجل ذلك بكلّ جدّية دون أن يهتم بالمنافسة العنيفة التي جلبها شوّكس بينهما.

كان شوّكس شابًا ألمعيًّا آخر. وكان معاصرًا لثاني. وكان كلاهما في منتصف العشرينات. ولكن كما يقول شاكسبير لاغو، كان لثاني إمامٌ يوميٌّ عنه جعل شوّكس مكدرًا. وكان هذا هو السبب الذي جعل شوّكس يغيّرُ غيرَةً شديدةً على ثاني. غالبًا ما كان يتعجب من السبب الذي يجعل ثاني دائماً أمامه مهما حاول محاولةً جبارةً.

وقد أثر ذلك سلبيًا على شهرته بين أصدقائه وحتى صديقاته اللاتي أخذنه المعيا استثنائيًا. ولم يعجبه بقدرٍ يسيرٍ. لو كان عضوًا في جماعة سرية، لكان قد استخدمها ترهيبًا لثاني. لكنه ليس عضوًا لجماعة سرية ولا يضمنُ أيَّ وسيلةٍ وحشيةٍ لترهيب ثاني. والتالي أصبح كثيرًا ظاهرًا. ومع ذلك، أبقى رأيه مفتوحًا أمام أي خيارٍ قابلٍ للتطبيق يساعده في تحقيق هدفه.

وصادف برأيٍ مميّتٍ قريباً جدًا. زوّده أحدُ أصدقائه، عزقيل، به، وهو طالب السنة النهائية في اللغة الإنجليزية. وفي أحد الآماس الباردة، كانا يجلسان على أحد المقاعد الصُّلبة في المركز المدني عندما سارت سَيِّسِل، ملكة جمال الحرم الجامعي ذات مرّة من الوجّهة المتقابلة. كانت تسير نَشِطَةً باديةً وجهها للنظر. وقد تبدّت قلقَةً بشكلٍ واضحٍ وتبدّت أنها تفرّ من شيءٍ ما. بمجرد أن نظر إليها عزقيل أصبح سريع الخاطر. ثم وكز شوّكس وقال: "لقد أنمت تلك الفتاة بنفسها." وبوّز عندما قال ذلك. "ماذا تقصد بأنها أنمت نفسها؟" استفسر شوّكس. ونظر إلى السيدة مرّة ثانية في الوقت ليراها تدخل في "شَيْفُ دَيْلِت"، وهو أعلى المطعم في الحرم الجامعي.

"لقد خضعت لاختبارٍ إيجابي لفيروس نقص المناعة البشرية." باح به عزقيل مع

نظرة من الندم.

صُدِمَ شوّكس للحظات. لفترة من الزمن لم يصدق ما قاله له صديقه للتوّ. ثم

بدأ عقله في العمل على فكرة.

"أعني أنها ناقلة لفيروس نقص المناعة البشرية"، كرّر. تحوّلت شوّكس للنظر في

حزقيال بابتسامة.

"لقد قلت أنها مصابة بفيروس نقص المناعة البشرية منذ متى؟" قال شوّكس

بصوت خفيض.

أجاب عزقيل: "اليوم فقط، قبل بضع ساعات."

"كيف عرفت عن ذلك؟" استفسر شوكس.

"ثق بي الآن. ليس من أي شيء أنا محرر مجلة الهرم."

"أنا أطلع دائماً على الأخبار الجديدة، أيها الصديق،" افتخر عزقيال حينما يَتَرَبَّثُ على منكب صديقه.

طبعاً، كان يعرف شوكس أن عزقيال هو محرر مجلة حرم الجامعة المشهورة. وكان قد لام نفسه بهدوءٍ على عجزه من ربط الجوهر بالحقيقة.

"كم أناساً كانوا يعرفون ذلك؟" تساءل شوكس.

"هي وحدها، وموظفو المختبر الذي قاموا بالاختبار، وأنا. واهتممت أن أنشره

كسَبَقِي صحفِيّ ل...نا."

"لا تفعل أيّاً من ذلك،" فسرعان ما قطعه صديقه.

"أظن يمكن أن تكون مفيدة لي،" زاد ذلك. لم يفهم عزقيال قصد صديقه

جيداً.

"أأنت مجنون؟ ماذا ستفعل بالتي كانت إيجابيةً لمرض فقدان المناعة؟" صوّت

عزقيال عليه تصويماً.

"أريد أن أستخدم الإيجابية لمرض فقدان المناعة لأصرفّ النور إلى وجهي

الأسود،" قال شكس متأملاً.

"تستطيع أن تكون جواداً نفسه، إن شئت." ولكن لا تُلْمِنِي لِعَدَمِ إندارك. قال

عزقيال نهائياً.

الأمر الأخير، يا عزقيال. عدّ لي بأن لا يسمع ذلك أحدٌ، ولا تنشره أيضاً."

"سمعت قولي. وكن حذراً."

"ماذا عن موظفي المختبر؟"

"لا تكترث. سأقوم بحفظ ذلك إلى النهاية،" أكد عزقيال ذلك. فوقف بعد ذلك شوكس.

"إلى أين تذهب؟"، سأل عزقيال المندهش.

"إلى رؤية الإيجابية لمرض فقدان المناعة، بالطبع. يجب أن أتصرف بسرعة." قال شوكس وسار نحو المطعم وترك صديقه يمدق إليه فاغِرَ الفَم.

كان هذا في منتصف الفصل الدراسي الثاني، المستوى ٣٠٠.

وقبل انتهاء تلك الدورة الدراسية، تَدَاوَلَ القولُ إنَّ ثاني وسيسل، الجمال

المهرجاني، صارا العصفور الحي الذي كان غناؤه "أُتْرِيدِينُ أَنْ تُنَوِّرِي يَا لِيلِي."

لا يؤمن بالقول الذين سمعوه. كانوا يتعجبون من أيِّ كيمياء يَجْرُ سَيْسِلُ مع مرتكزها العالي إلى أن تخرج مع ثاني، باح بِاتِّقَاذِ الذكاءِ عضوًا من أعضاء كنيسة الحرم الجامعي. لم يكن عزقيال مُدْهَشًا برغم ذلك، ومع الدَهْشِ من المسألة التي استقبلت شوكس.

"لقد استمعت إلى خبر العصفور الحيّ المستحدَث في الحرم الجامعي. عرفت أن ذلك عمَلِك اليدي يا شوكس. ولكن ما يُجَيِّرُنِي هو كيف صنعته ولَمَّا صنعت له." قال ذلك لشوكس. نظر شوكس إلى عين صديقه مباشرةً وتبسّم.

"يا صديقي، عزقيال، لا شيئًا لا يستطيع المال أن يصنعه. كما ترى، أني اكتشفت أن كِلَيْهِمَا يشاطران ميزةً عاديةً. تحب سيسل المال، وعلاوة على ذلك، تتكالب في الاحتياج إلى المال لزيارة ذلك العالم الغليظ الفظّ في تلك البيئة، بينما كان لثاني وصمةٌ ناعمةٌ بالنسبة للناشئات الجميلات مع أنه جبان. يذهب إلى النساء اللاتي فُقْنَ مستواه. وكان ذلك عنده أمرًا هَيِّنًا. أليس كذلك؟" نظر عزقيال إلى صديقه بتعبير إنكاري.

"من غير ريب، أنه هو. لكن لماذا فعلت ذلك مع أنك تعرف تمام المعرفة أنها كانت إيجابية لمرض فقدان المناعة،" قال ذلك باهتمام بالغ في عينيه.
"تعرف أن الحياة عُقْدَةٌ، ينبغي أن تكون ماكراً في بعض الأحيان، لفكّ تلك العقدة إلى النهاية،" رد عليه شوكس في أسلوب فلسفي كعادته.
"آه، نفس بريئة،" قال عزقيال شارّد الذهن.

جلس ثاني متجمّداً على المقعد بما يبدو له على طول انتظار. وكان هنالك لمدة خمس دقائق فقط ولكن يبدو الانتظار غير مُنتَهٍ... وكانت التوقعات مؤلمة. وكانت إمكانيّة النتيجة كما هي متفاوتة غير ممكنة التخيل. هل يمكن أن تكون سلبية أو إيجابية... سلبية أو إيجابية... سلبية... إيجابية... إيجابية...
كما كان ينتظر بارتعاش حركة الناس دخولاً في المستوصف وخروجاً منه، ضعفت الشجاعة التي كانت عنده بعد بضع دقائق مع مرور الوقت؟ كان يعرف الآن ما شعر به كأن كان على محور الدوران للموت. ربما كان أصدقاؤه على الحق. عندما أجرى النقاش في غرفة أحمد، لم يكن يعلم أنه كان سيشعر مثل هذه الطريقة. على الرغم من أنه اختار أن يجري الاختبار جُرأةً، إلا أنه لم يخبر أصدقاؤه بذلك. كان يقصد به أن يفاجئهم (أو يصدّم) بالنتيجة.

أراد أن يستخدم استراحة الفصل الدراسي لمدة أسبوعين في نهاية السنة الأولى ليثبت لأصدقائه أنه لا يخاف من اختبار فيروس نقص المناعة البشرية.
فإذا ظهر خادمة المختبر في مدخله. ووقف ثاني حالاً ومشى نحوها. بحث عن دليلٍ لحلّ لغز النتيجة في وجهها، لكنها التفت بتعبير لطيف. تنهدت فقط وسلمت له قطعة من الورق. ثم التفتت في أقلّ من لمّح البصر كأنها تتجنّب. ثم سقطت عيناه على الكتابة على الورق الذي يقرأ "إيجابية".

سرعان ما انطفأ النور من عينيه، وشعر بالدوار. أصبح مبهوثاً فوراً بالمكان الذي وقف فيه. لم يصدق أنه كان يمسك حكمه الإعدامي... في تلك اللحظة كان يشعر أنّ حياته قد انتهت فجأةً، تحطّم كلُّ شيء كان يعمل لأجله مجرد القوّة لكلمة إيجابية... ثم مرّ كل شيء في النسيان... المختبر... المباني... أصبح كل شكل من أشكال الحياة بلا حراك...

وفي تلك اللحظة أخذ معنى فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز أمراً محتوماً. ولكن الآن أصبحت سياسات فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز حقيقةً صارمة... وجود وغياب. نشأ تكوّن المرض يغمر في رأسه مرة أخرى... القصة العالمية لعام ٢٠٠٠... سكان العالم الثالث... الاقتصادات الغربية المهددة... حياة مليار شخص ستُمسح على وجه الأرض... العلماء في مختبر كندي... السائل المتخمر من الشمبانزي... الدم المنقوش من القوقازيين، البانتو السود، المشرقيون... الأشياء الجنسية المثلية... مليون حالة وفاة في إفريقيا... المخدرات الباهظة الثمن...

"تحمل الصبر يا ثاني... اقبل ذلك كمشيئة من الله"، قالت ذلك خادمة المختبر

التي تبدّت مرةً ثانيةً في ممرّ المدخل بعينين مملوءتين بالدموع.

بعد ذلك تاب ثاني إلى نفسه. مرّق الورق الذي في يده وهشمه تحت قدمه. وألقى نظرة فاحصة على القامة الصغيرة لخادمة المختبر مرة أخرى. بدون أن ينطق بكلمة، مشى ببطء إلى الباب. ضرب النسيم الحارّ وجهه المعوجّ من الخارج، من الخارج، كان طنين السيارات وآلات الطحن ملأ الجوّ لكنه غافلٌ عن كل ذلك. وسار مباشرةً بدون المعرفة إلى أين يذهب أو لمن يروي قصة عالمه المحطّم... وقصة أحلامه المتهالكة من تخرجه للدفاع عن والدته وإخوته، ومساهمته في عملية النمو الاجتماعي والسياسي لوطنه... ومساعدة الإنسانية على إعادة اكتشاف إنسانيتها...

سار مباشرةً كضحية للمؤامرات... قضية أخرى تتعلق بفيروس نقص المناعة
البشرية/الإيدز... وفاة أخرى في ملايين الوفيات.
ثم أعلن مذيّع الأخبار في الساعة السابعة أنه تم العثور على جثة شاب معلقة
بمروحة سقفٍ. ولم يُعرف مباشرةً سبب وفاته. هكذا فحسب!

الأنا المتغيرة لطاهر

انتقل خلسةً نحو البوابة الرئيسيّة للمُسْتَحْضِرِ لابتعاد مزعومٍ من والدته، نانا عائشة. ولكن بعد ذلك بقليل خرجت من زاوية غرفةٍ على ما يبدو من صحن الدار الخلفي. لاحظت أن صورة صبي تختفي زُهاءَ مخزن الحبوب نحو البوابة. عرفت أنه كان طاهر. "طاهر، طاهر" نادى.

سمع طاهر النداء. اختفى خلف مخزن الحبوب وانطلق من ساحة الدار سريعاً. "هؤلاء الأولاد... لا تستطيع أبداً أن تجدهم لإرسالهم أو لقيامهم ببعض الأعمال لك"، اشتكت نانا عائشة.

توجه طاهر مباشرةً إلى الملعب حيث يلتقى دائماً بأولاد من منازل أخرى للعب بكرة القدم وفي بعض الأحيان لعب التحجُّب والبحث. وكذلك كانوا يلعبون بلعبة "ويل- أو دي- وسف" (أمل خادع) أحياناً في مناسبات. وإضافةً إلى هذه اللُّعُوبَات، كانت لهم بعض الألعاب الجاذبيّة الأخرى، مثل قطف أثمار المانجو والذهاب إلى قمة التل لمطاردة الجرذان. ولكن، أحياناً، كان طاهر يَبْقَى وَرَاءَ ويجلس مع بعض كبارٍ تحت شجرة المانجو حيث كان يستمع إلى قصص الأحداث الجديدة في المدينة أو القيل والقال للقطات الكبيرة. كان هناك سمع عن بابا علي الذي أصبح نوعاً من المعبود له.

في هذا اليوم بالذات، وصل طاهر إلى الملعب في وقتٍ مبكّرٍ جداً. لم يكن هناك أحد. وفي اللحظة لم يكن يعرف ماذا يفعل. فجأةً رأى الصورة الجسيمة لبابا علي أمام منزله الكبير. ثم انتقل طاهر إلى شجرة المانجو المجاورة لمنزل بابا علي. كان يجب أن ينظر إلى بابا علي الذي كانت مقلة عينيه المحمّرتين لم تنقطع عن إرباكه. "لماذا كانتا حمراءين؟" كان يتساءل.

جلس على جذر شجرة المانجو الناتيء وأدام نظره السّابِر إلى بابا علي. لطلما أراد طاهر أن يقترب من هذا الرجل الجسيم وضخم الألفاد الذي لبس الآن قميصًا باذخًا مطرّزًا باللّون الأصفر الشّاحِب واللّون الأبيض من نسيج "الشّدّه" ليسأل فقط عن "لماذا كانت مقلتا عينيه محمّرتين". لكنه لم يجترئ على ذلك!

"سيضربك!" حدّر طاهر من الاقتراب من بابا علي.

إنه سيجعلك في غرفته السرية ليصنع مالا. إنه شَريرٌ." قيل له ذلك.

سمع طاهر العديد من القصص المربكة حول بابا علي. قال بعض الناس إن بابا علي كان حاقداً للأولاد - وهو شعور كان يُنقل من الفكرة السائدة في حزب اتحاد محرري الشعب¹. وبالنسبة لأعضاء حزب اتحاد محرري الشعب الذين كان قائدهم معروفاً فقط باسم رجل-أسود. كان يتخذ الحزب نتاج الطفل متعةً أكثر من أي عمل جدّي لعملية الحياة أو لدوام. في أحسن الأحوال، كان إنجاب الأولاد مجرد استجابةٍ لِنزوةٍ تحرّريّة. وكان الأطفال يُولّدون فحسبٌ ويُترَكون أن يتجولوا ويرقصوا فرحاً في حظّهم الخاص كما يشاء الله.

لذلك، دعونا نستمتع بسخاء جهدنا متى نستمكن منه قبل أن يتقدموا اغتصاباً لوضعنا المتميّز. من الذي يكثرث إذا قتلوا في حربنا! في الواقع، سيكون ذلك أفضل لنا،" لقد قال الرجل الأسود هذا بابتسامةٍ مؤذيةٍ تبدو في وجهه.

كانت الحرب الأهلية التي مكّنت قوم حمة من السلطة واحداً وعشرين عاماً مَضَتْ في الحرارة المشهورة (أو غير المشهورة، متوقفاً على الذي جَرَب الوَضْع). في تلك الحرب، طردَ الحذرون من خلال استراتيجية معتقدة للتخلص من الشباب والقاصرين. كان الرجل الأسود على رأس مجموعة جند الطوارئ لقوم حمة. وهكذا

1. Union of People Liberators Party (UPLP)

بينما كان الشباب والقاصرين يقاتلون بعضهم بعضًا في حربٍ ليست لهم، استقال الرجل الأسود وأمراء الحرب الآخرون أن يستمتعوا بمحصولات عملهم.

سجّلت تلك الحربُ أكبرَ قتلٍ للشباب في التاريخ البشري. وكان بابا علي آنذاك في الثانية والأربعين من عمره، ولذلك ساعد في تنفيذ الحرب.

وفي وقت الحرب، لم يكن يتفكر طاهر. ولم يعرف والداه بعضهما البعض في ذلك الوقت. في الواقع، التقى بعضهما ببعض في مُحَيِّمِ اللاجئين في غابة جزيرة مُوسْتَانغ. كان اسم والد طاهر يونس. وكان في الخامسة والعشرين من عمره عندما بدأت الحرب. وقد نجا مع عدّة آلافٍ آخرين إلى جزيرة مُوسْتَانغ من خلال الجداول وأراضي صعبة في كثير من الأحيان بدون طعامٍ لِضِعَةِ أَيَّامٍ. لقد كان ذلك تجربةً مريرةً له -وبالنسبة للآخرين أيضًا تأكيدًا منه- ولكن جديرًا بالاهتمام أن يَنْجُوَ أحدٌ بحياته من القسوة الانفعاليّة لهوسِ سلطة الرجل الأسود وجماعته.

والتقى يونس بزوجته، زاي، في مُحَيِّمِ اللاجئين. كانت زاي في الحادية والعشرين من عمرها. استغرقت الحرب ثلاث سنوات خلال تلك الفترة التي أُعْرِيتُ فيها - يُسَلِّي بعضهم بعضًا بِقَطْرَاتٍ من عاطفةٍ يستطيعون أن يثيروا في الحين أُنَّهم يشاطرون خبرةً بائسةً تُولِّدُها حالةُ الحرب. وكانت الحالة في المُحَيِّمِ مهجورةً لدرجة أنها تأخذ عمليةً طبيعيّةً مقضيّةً للإحداث ولو ابتسامةً في وجوه السكّان. في كل مرة، يسقط الناس قتلى أو مشارفين على الموت -مَرَضَى أو هَزَلَى- يسرون بتحديد الكابوس في وجوههم.

الأغذية التي كانت تُطعمها مجموعات الإنسانين قليلةً لتخفيف معدّل المعاناة في المُحَيِّمِ. ولكن في مثل هذا الوضع الطائش الفظيع، تمكن يونس وزاي من الاحتفاظ بواحة الحب بعضهما على بعض. ومع ذلك، أنهما تزوّجا بعد خمس سنوات من انتهاء الحرب...

وقيل إن بابا علي ما زال يعاني من وجود مبادئ حزب اتحاد محرري الشعب. كان يهتم بأولاده قليلاً جداً وكثيراً ما يهتم براحته الشخصية. وكان يراهم كنتيجة ثانوية من التعبير الشهباني فحسب، لا يمتلك قوة للتصوّر ولا يمكن من أن يرث العالم منه أيضاً. ليس لديه غاية لهم!

"سيعتني بهم الله"، قال ذلك دائماً. كان بابا علي يمتلك هذه الذاكرة اليرقانية، كما قال الناس. وعلاوة على ذلك، كان يُعْتَبَرُ كالساذج، وأحد من البُلَهَاء الذي كان لديه ميلٌ إلى الانجراف. وربما كان مُعْتَبَرًا صفراوي المزاج جداً إلى حدّ كونه غيبياً أحق ومتكالباً في حطام الدنيا. جميع الأنواع الاستمتاعية التي كان بابا علي يحصل عليها، سببت هذه الأفكار. كان لديه حوالي عشرة سيارات أنيقة مختلفة في منزله الكبير، الذي بناه بأكثر من مائة مليون - وفقاً لقياسٍ غير رسمي. وقال أولئك الذين كانوا موظفين لدخول منزله إنه كان قد نسّق حواسب شخصية... "كان لا بدّ أن يكون قد اشتراها بثروة كبيرة"، حسب تقديراتهم. لكن بالطبع، يمكن أن ترى صحن القمر الصناعي الكروي الكبير في منزله...

"لكن لماذا هو شخص شرير؟" تعجب طاهر حينما لا يزال ينظر إلى هذا الرجل الغريب الذي كان له الأنا المتغيرة. كان بابا علي شيئاً من الأسطورة في مدينة دَنغِي. قبل الحرب الشهيرة (أو غير المشهورة)، كان بابا علي مدرساً في مدرسة دنغي الثانوية. حصل على شهادة التربية الوطنية¹ في التعليم التجاري. اختار هذا المقرّر التعليمي لغرضٍ. بسبب طبيعته القَطَّة، كان يكره أي مهمة مُتَعَبَة هكذا كان يعني التعليم عنده (كان دائماً يرغب في حياة سهلة). بالإضافة إلى ذلك، لم يذهب معظم معاصريه بقدر ما ذهب إلى اكتساب الثروة. وكان يمتلك بعضهم الشهادة فقط وكانوا يمتلكون المنازل والسيارات وتزوّجوا من الزوجات الجميلة. لذلك، رأى أن السبيل هي

1. NCE

بمثابة سيرٍ سهلٍ لاكتساب الثروة من خلال الممارسة التجارية أو من خلال إصابحه ضابطاً مسؤولاً عن المحاسبة في أي مؤسسة حكومية. لم يكن بابا علي على الإطلاق مولعاً بالكتاب.

ولسوء حظه عندما أنهى دراسته، لم يكن لديه عمل، ولم يكن لديه رأس مال لبدء تجارة. وكان والداه فقيرين. لذا، عندما جاءت وظيفة التدريس في طريقه -وهي أقل وظيفة في جميع هذا البلد الاستوائي- أخذها.

"ليقتصد أولاً قبل أن يأتي الأفضل" أخبر صديقه موسى.

"لكن وظيفة التدريس ليست سيئة أيضاً،" قال موسى.

"لا بد أنك لم تُجِلِ الفِكْرَ فيما تقول عن ذلك". "تخيّل أن تُدْفِعَ أجرَ زهيداً-

راتبٌ من ألفين وخمسمائة... "لم ينته من الجملة. كان موجعاً جداً! لم يستطع أن يذكر نفسه الكتابة التي تعنيها الوظيفة. كان يأمل في وظيفة أفضل...

لم يحصل بابا علي قطُّ على إفناءٍ لكتابة الوظيفة. عاش طَوَالَ الإخفاق.

تضاعف الإخفاق عندما كان في الثامنة والعشرين من عمره، عقد له والداه الزواج على زوجة. فقد عقدوا له على زوجةً صحيحًا. صدقة!

"ابتكروا لي زوجةً،" قال لصديقه تَهَكُّمِيًّا. ولكن بعد طفلهما الأول، ألقح فتاةً

مراهقةً حَمَلًا - بنت ستة عشر عاماً- التي تزوّج بها فيما بعد حسبما جَرَتْ عليه العادة.

"الآن قد ابتكرت لنفسك زوجةً." قال له موسى مازحًا أيضًا.

مع زوجتين وطفلين، علي وزُوَيْ، ووظيفة كئيبة في ذلك العمر لعنفوان

الشباب، كان بابا علي محصورًا بالقضاء في وسط حياة عاصفة -حياة إخفاقات وأحلامٍ في أَدْرَاجِ الرِّياح. العاصفة ساقته في كثيرٍ من الأحوال إلى الأعلى من جسرٍ فوقيّ في الجزء المركزي لمدينة دنغي، كان يبقى هنالك لبضع ساعات مراقبًا طريق

كَيْنِيَاتًا المزدحم والبازار (السوق الخيرية). كان يركز على أسطول السيارات المُبَهَّرَجَة (بعضها مستخدمة) أثناء تَدَفُّقِهَا.

ثم ينجرف مع أحلام امتلاك تلك السيارات:

"آه، أتمنى لو امتلكت السيارة المصنوعة في اليابان، هُونْدَا سِيْفِكُ، صِنْفُ ١٩٩٧ هوندا، آه يا أحق، أعتقد أن الجيب هوندا صِنْفَ ١٩٨٩ أفضل بالنسبة لي."

وإذا ما تطوف سيارةً يِنَانُزُ الألمانية، كان يتنفس متعمِّقًا:

الآن، تلك هي سيارتي، هذه بيست ٦٠٠ إس إي.

وكذلك إذا وقعت عيناه فجأةً على الشيروكي الأمريكي، كان يَتَرَنِّحُ "يا إلهي، لا تَضْطَهْدِنِي أَيضًا. أعطني هذه السيارات الناعمة فقط - أعطني الثروة للحصول على شبكة الأقمار الصناعية والهاتف المحمول أيضا... افتح لي الباب للدخول في الترف الهائل، يا الله."

على هذا النحو، كان الحلم اليومي لبابا علي وهو على الجسر الفوقي لامتلاك النوع المنسَّق والمصقول والأدوات المعدنية بدون أي تَرْقِيدٍ للعمليَّة الإبداعية التي تجعل ذلك ممكنًا. أراد أن يعيش عيشًا رغدًا. وكان يعود إلى البيت مُكْأَبًا جدًّا من ذلك، إلَّا ليزيد من الأطفال أكثر من أهداف حُلْمه اليقظي. في حالته الحلمية، كان يُضَيِّع زوجاته وخمسة أطفال بمنعهم الطعام والمال. وكثيرًا ما كان يضربهم إخفاقًا. لم يكن يترك نسبُ الصَّنُعة المعلوماتية الحديثة روحه.

عندما بلغ الإخفاق جزئه الأفضل توقف عن الذهاب إلى الجسر. حصر نفسه في حُجْرَتِي النوم لمنزله، اللتين كان يشاركها مع زوجاته وأطفاله. وكان للمنزل مطبخ ومَعْسَلَة وغرفة جلوس بجانب الحجرتين. في غرفة الجلوس كان هناك غرفة خشبية فارغة وفاصلة، ثلاثة وسائل مسحوقة ووسادة مترفة وأريكة بالية. وكان في وسط

الغرفة سجادة مطاطية ممزقة. بما أنه أنشأ عادةً قَدْرَةً لبقائه في المنازل (مما جعله قاصراً ذاتياً إلى حدٍّ أبعد)، ظل أطفاله وزوجاته دائماً ساكتين. لقد كان يقدم أمراً دائماً: كان قد قال بشدة. "لا أحدًا يزعج لحظاتي الهادئة." قال متجهماً.

لقد استخدم هذه اللحظات لترقيد احتياجاته الالامحدودة وفقره. ويتعجب عن ما هو السحر الذي سيستخدمه ليحصل على تلك الأشياء التي يحبها كثيراً، أو ليتخلص من فقره. وكان في كثير من الأحيان يمسح وجهه داعياً الله للتخلص بغير جدوى.

وفي يوم، في إحدى لحظاته الهادئة، وهو يتكئ على الأريكة البالية، تذكر كلمات بنيامين فرانكلين، التي كان قد كظها في المدرسة في بعض الأحيان. "لماذا إضاعة الوقت في الشكوى من الضرائب عندما نضرب على نحوٍ موصولٍ بواسطة بطاليتنا وكسبنا على أنفسنا الضرائب؛ لماذا التمي من الأوقات الفضليات عندما نستطيع أن نتمكّن من تلك الأوقات الفضليات بواسطة الصناعة كيفما شئنا. لماذا نكون فقراء وفي ديون عندما الاقتصاد يمكن أن يشتري جميع ضروراتنا..." آنذاك وقف. وأصبح مستغرقاً في تفكيرٍ حالمٍ.

"نعم، لماذا نكون فقراء وفي ديون عندما يمكن بالاقتصاد أن نشترى جميع ضروراتنا"، وكرّر هذه الكلمات لنفسه جيئةً وذهاباً.

الاقتصاد! هذا هو المفتاح لفتح باب الحظ... يمكنني جمع زملائي العشرة للحصول على توفير الاقتصاد من ١٠٠٠ نيرا لكل منهم...، مثل ذلك يمكن أن أبدأ باشتراء جهاز تلفزيون -حتى لو كان في المرتبة الثانية- ثم بعد ذلك أشتري جهاز فيديو... ثم بعد ذلك أذهب إلى الأمام حتى أبدأ مشروعاً تجارياً صغيراً أيضاً..." بيّت فكرةً داخلياً. سرّه هذا الفكر بقدر ما رأى الإمكانية الهائلة لإنهاء فقره الظاهر أمامه.

"فليذهب هؤلاء السياسيون إلى الجحيم الذين يجعلون الحياة صعبةً لنا. من الذي قال إنني لن أنجح... لا بد أن أنجح مهما كان الأمر ولو كان يعني تجويع نفسي وعائلي"، استنشق الهواء بتهيجٍ انفعاليٍّ كما كان يتفكر بصوتٍ عالٍ. ولكن سرعان ما انهارت ثقته بواقعٍ ساحقٍ.

"ولكن، آه، لا يتحرك شيءٌ هنا دائماً"، كما قال ذلك إثر تنفسه واندفع على واحدة من الوسائد في غرفة الجلوس. كان قد تبين له لتوه أنه لن يكون من السهل جمع عشرة من زملائه لأجل توفير الاقتصاد حيث كان الجميع مثقلين بكآبة اللحظة. ومجردُ الثقلِ هذا الواقع، وتلك احتياجاته اللامحدودة -رغبةً في الترف- أجبرته على أن يتراجع إلى قدراته النفسية السلبية- وهي أمور غير مؤكدة. كانت حالته النفسية حقيقةً السوق الخيرية التي كانت كلها أكثر ممارسةً للأفكار غير المبدعة.

هكذا كانت حالة ذاكرة بابا علي قبل الحرب. اكتسحت الحرب جميع عائلته القريبة فقط- جميع أولاده الخمسة وزوجتيه، ولكن لم تكتسح موقفه الكسلي. لم تستطع الحرب أن تزيل نسب الصنعة المعلوماتية الحديثة من نفسيته. إلى حد أن النسب كان مشهودًا -اندفاع- وكَّزه أبعاد إلى المعركة في الحرب. على أي حال، انضم بابا علي إلى حزب اتحاد محرري الشعب لتحرير أحلامه، لاجتناء الفوائد التي وعد بها الرجل الأسود الممتازين في الحزب... وكان يأمل أنه إذا نجا من الحرب... لو كان نجا فقط... لقد كان نجا من الحرب!

وبعد واحدة وعشرين سنة من الحرب، حقق بابا علي معظم أحلامه. وكان الآن في الواحد والستين من عمره مع ثلاث زوجات وعشرين طفلاً، وقد حاز كل ما يجعل الحياة مريحة حتى الأكثر حديثاً عنه من الإنترنت والبريد الإلكتروني.

وبالطبع، كونه عمل أعمالاً متباينة كرئيس القسم في الوزارة المالية، ورئيس مجلس دُخْلِ البيت، والآن المفوض للتربية والتعليم -محصولات عمله- وكذلك عرف بابا علي جيداً كيف يحقق أحلامه.

نادى صوتٌ "يا طاهر!". تحول طاهر باهتزازٍ. كان صاحب الصوت حامد من معاصره. وكان يجلس تحت شجرة المانجو منذ ثلاثين دقيقةً الماضية. انحنى للالتحاق بصديقه. كانا تلميذي مدرسة دنغي الابتدائية المركزية حيث كان والد طاهر، يونس، رئيسياً. كانت شجرة المانجو التي كان يجلس تحتها طاهر أمام المنزل الكبير يملكه مدير شركة كبيرة. كان يقع في المنطقة الثالثة التي أصبحت تدريجياً ملجئاً لكبار الأغنياء. كان بابا علي واحداً من الذين لهم المنازل في المنطقة الثالثة. كانت إشاعاتٌ منتشرةً أنه قد اتخذ خليلاته هناك. كان ذاك الشخص الطائش الفاسق.

وعادةً، كان يقيم بمآوي المفوضين مع أسرته. لكنه احتفظ وصلاً مُسلسلاً مع الخليلات.

انقسمت المنطقة الثالثة بشكل طبيعي بواسطة مجرى مائي كان مبنياً بشكل مَصْرَفٍ ماءٍ واسعٍ يمتد من الجزء المركزي من دنغي. وكان الجزء الغربي من المنطقة هو الجزء الذي كان يحتله الكبار من الأغنياء. في حين أن الجزء الشرقي كان تحتلها بقايا قبيلة بانزا، وقد أجبر العديد منهم على الانتقال إلى الأجزاء الداخلية من دنغي. كان على هذا الجانب من المنطقة الثالثة يسكن طاهر مع والديه في المنزل المستأجر المحصور في مجمع كبير. كان طاهر في العاشرة من عمره بينما كان حامد في الحادية عشرة.

وقد دُهِش طاهرٌ في جادة المهرجان للمنطقة الثالثة في ظُهر يوم الأحد أن يلعب كالعادة. كما كان يأمل في رؤية محبوبه، بابا علي، الذي طالما كان يجب أن يراه. جذبه

شيء متعذر تفسيره إلى بابا علي. كان هذا هو السبب الذي لأجله بمجرد أن رأى الصورة الجسيمة لبابا علي عند بوابة منزله الكبير سرعان ما ذهب ليجلس على جنر شجرة المانجو الناتئ. كانت الشمس مرتفعة جدًا، لذا كانت الشجرة تجهز ظلًا جيّدًا. "لماذا كنت تحديق إلى هذا الرجل بهذا الشكل،" استفسر حامد عندما بدأوا في السير على الطريق.

"هذا هو مفوض التربية،" أجاب طاهر.

"نعم أعرف. وكنت تنظر إليه بهذا الشكل؟" انقلب حامد للنظر إلى بابا علي من كتفه. انقلب طاهر أيضا.

"قالوا إنه شرير." "لكن أخبرني، هل سيرسل رجال الشرطة ليقبضوا عليّ لأنني أنظر إليه؟" قال ذلك طاهر خائفًا.

"لا أدري، لا أعرف."

"ولكن قل لي، لماذا هو شرير؟"

"لا أدري، لا أعرف. لكن لماذا لا تسأل أخي. ربما يستطيع أن يخبرنا،" اقترح

حامد.

"نعم، هذه فكرة جيدة"، تحمّس طاهر باهتزاز. وأضاف "هل تأخذني إلى أخيك؟" زاد ذلك.

"نعم لِمَا لا."

سارا في صمت لفترة من الوقت. لقد تجاوزا حشدًا من الناس بحفرة معيارية ينتظرون جلب الماء. كان قد ندر الماء طوال الأسابيع التي مضت وكان الناس منتشرين في الأماكن طلبًا لقطرة يستخدمونها. ركل حامد طبقة معدنيًا فارغًا برجله، تدحرج قيّد أمتارٍ إلى الأمام. ثم جرى طاهر ليركله إلى أبعد مرة ثانية. طار الصحيف مباشرةً إلى أسفل مؤخر الدوّلاب لسيارة صِنْفِ مارسيديس السوداء لامرأة شابة.

مزّق الدولابُ الطبقة المعدنية، ولما كانت السيارة تجري بسرعة على مقربة من طاهر نظر إليها. وكان يقرب حامد بخطوات قليلة.

"هل تعرف شيئًا؟ أنا أحب ذلك الرجل"، قال طاهر بمجرد أن سدّ المسافة

التي كانت بينهما.

"أنت تحبه؟" سأل حامد متعجبًا. "نعم." أجاب طاهر مؤكّدًا.

لقد وصلا إلى الطرف الآخر من جادة المهرجان التي ربطت الطريق الرئيسي

للطبقة الثالثة. انقلبا إلى اليسار واتجها نحو القسم الآخر من المنطقة. مشى بضعة

أمتار وعبرًا جسرا قبل أن ينقلبوا يسارًا مرة أخرى نحو منزل حامد الرئيسي.

كانا محظوظين، كان يا-إبراهيم في غرفته يناقش مع صديق له خادم للوطن،

وهو متأنّ. وكان يا-إبراهيم طالباً لمدرسة العليا في قسم العلوم السياسية بجامعة

سانكارا. وكان يدرس في جميع أنواع الأيديولوجيات الدنيوية العالية.

اقترب الولدان من غرفته، وسلم حامد من عتبة الباب:

"سلام عليكم."

"نعم، من هناك؟" أجاب يا إبراهيم.

"أنا يا حامد،" أجاب الولد بهدوء.

"ادخل، إذا كنت تريد أن تراني."

مشى الصديقان في قَلْقٍ قليلٍ.

"نعم يا حامد، ما هو؟"

قال يا إبراهيم بمجرد دخول الأولاد الغرفة.

"هيم... هيم..." كافح حامد ليتحدث.

"استرخ، ولا تحفّ"، عرض يا-إبراهيم ابتساماً لتشجيع الفتى.

"لقد رأينا للتو مفوض التربية والتعليم الذي قالوا إنه شرير ونريد أن نعرف لماذا هو شرير"، قال حامد في الكلمات مُتَرَتِّحًا وخجولاً.

ابتسم يا-إبراهيم بابتسامة مؤذ.

"لماذا، هناك الكثير مما يقال في ذلك الرجل. لكن ليس الآن؛ يا حامد،" قال على مَضَضٍ. كان يعلم أنه لو بدأ التحدّث عن هذا الرجل لا يتوقف عنه. "هذا ابن الكلبة!" لقد لعن عقب أنفاسه.

"لا، أخبرنا الآن. نريد أن نعرف،" قال حامد باهتياج.

"صديقي هنا كذلك قال إنه يجب الرجل." أضاف ذلك.

وسرعان ما تغيّر التعبير في وجه يا-إبراهيم. ونظر إلى طاهر للتأكيد.

"نعم، أنا أحبه،" قال طاهر متحمّساً.

"لماذا تحبه؟" سأل يا-إبراهيم حينما يُثبِتُ نظرًا سابرًا إلى طاهر.

"لأنه يمتلك سيارات جيدة وطبق الأقمار الصناعية في منزله الكبير. أنا أحب منزله الكبير."

"هُرَاءُ!" قطعه يا-إبراهيم اختصارًا.

للحظة كان غير فضيلٍ.

لما اهتم بالقول مرة أخرى نظر إلى صديقه خادم الوطن وقال بصوت حلقي:

"هل تعرف؟" الرجل هو الواحد من الأتباع الموثوقين المتبقين لحزب اتحاد محرري

الشعب الشيطاني الذي أباد الشباب والقاصرين جماعةً جماعةً، فصاح بدلاً من تبين

المسألة للأولاد. جلس صديقه منفتح العينين، وكان الأولاد غير فضلاء بأكثر ما

سيقول من الطريقة التي قالها.

وبمجرد أن فُتِحَ فَمُه للمتابعة، قاطعه طاهر بسؤال:

"هل هذا هو السبب في كون مقلة عينيه محمّرتين؟"

انقلب يا-إبراهيم مع الغضب المكبوت لينظر إلى الولد مرةً أخرى. ثم قال بصوتٍ عالٍ:

"هذا مجرد مظهرٍ واحدٍ من مظاهر شرّه. لكنه شرير لأنه كَتَيْمٌ لمأزق الجبل الأصغر." قال ساخطاً.

ثم همّ على نظرة بعيدة، ربما يستعد ليقول أكثر. يمكن أن يكون يا-إبراهيم فلسفيًا في لحظات كهذه. ولكن كانت وجهات نظره الأكاديمية الجامدة التي قاد الناس بعيدا عنه. وبمجرد أن كان منعزلاً عنهم، تبادل الولدان ببساطة النظرة وتسللا من الغرفة.

في ذلك اليوم الذي رجع فيه طاهر إلى البيت، كان الشيء الوحيد الذي خطر بباله هو صورة بابا علي، وتَدَلِّي زائدة لحمية عنقه، وبطنه المنتفخ، وسياراته الفاخرة، وطبق الأقمار الصناعية، والمنزل الكبير. "أريد أن أكون مثله"، ما بَرِحَ يقول ذلك لنفسه. ولكن الشيء الوحيد الذي ما استطاع أن يفهمه هو لماذا اعتبر بابا علي شريرا. "لماذا هو شخص شرير ولماذا تحدث يا-إبراهيم بكراهية كبيرة ضد هذا الرجل الذي أحبه؟" تفكر حيث ذهب وحده.

الرجال الساكنون الأرض اللامتحررة

راقب بوهج الكآبة حينما كانت جثة صديقه تُنزل في القبر. السكون المنبعث من المقبرة، والأيدي الجاحمة التي كانت تدفع الجثة تدريجياً إلى داخل القبر، فجرت الدموع في عينيه. "هكذا ذهب إلى الأبد، ولن يُنظر مرة أخرى أبداً،" كان يتفكر. ثم جرت الدموع إلى خديه بحرية وهو يفكر في الوحشة التي ترافق ذلك الفقد المتعذر تعويضه. كما أنه فكر في العديد من ذكريات علاقتهما المشغوفة. وكانت اللحظات السعيدة عندما قاما ببناء قلعات في الرمال معاً. ذكريات الطفولة. العجلة التي قادا معاً من خلال الجيران، جرياً وراء أداء مهمات لوالديهما. أو الهروب من أداء مهمات تلهياً ببوحي-بوجي في الملعب.

تذكر غوغورو وبامبارا كانوا يراهنون على ألعابهما أراب وغيزو وغيزو أيب، دوزي-دوزي أيغيري، كان ينتظره حول المنعطف الذي انبعث من سوق المدرسة الصغيرة، حيث إنه تداول المنعطف مع غوغورو أو بامبارا، كان يخرج ويعرض أصابعه على أنفه. ثم يصرخ، "أراب". يضحك تماماً، ويتفضل عليه صديقه بخدمة. كان ذلك تفاهماً غير مكتوب في ما بين مجموعة الأطفال الذين كانوا في أعمارهم. الأطفال في ما بين السن الرابع والتاسع. لقد كان ذلك جيلاً بعد جيل. كانت لعبة غيزو وغيزو عبارة عن مسابقة تناول الوجبة التي من خلالها كان يقوم اثنان منهما بتكليف أنفسهم للاكتشاف على الشخص الأخير في إنهاء وجبته عادةً من الأشياء الصغيرة مثل غوزيا، حلوى أو دكوا. كانت الحيلة هي أن أول من ينتهي بوجبته سيشارك في تناول وجبة الأخير لإنهاء ما له.

لقد تذكر هذا كله. والآن ماذا يفعل بعد غياب رفاقة حسن؟ نشأ نوح وحسن معاً في كوخ الجوار لبلدة بانين. كان هناك العديد من مستوطني الأكواخ المرتبة في البلدة مع مياه البواليع المفتوحة، وأحياء الفقراء، والمناطق المحيطة بالعشب الكثيف،

والنفايا المتكوّمة التي تُنقِطُ المنظر الطبيعي. كانت بَانِينُ تقع على وادي مُوحل ومطوّق بجبال ممتدّة إلى داخلها. وكان يجري النهر إحدائقاً بها. عاش نوح وحسن في مجّمع الجزء السفلي من المدينة. شكّلت المنازل في هذا الجزء سدّاً منيعاً لمياه الأمطار التي تنحدر من السهول العالية للمدينة إلى مجرى على بعد بضعة أمتار خلف المنازل. كانت أشجار المانجو قد جهزت ملعباً للصديقين والأطفال الآخرين في المنطقة المجاورة.

تذكر نوح حادثة واحدة معينة بقيت خضراء في ذاكرته. ذهب مع حسن إلى موقع النهر في ظُهر يوم السبت. لقد تسللا بعيدا من المدرسة القرآنية. استخدمتا المسارات الملتفة بالأعشاب المؤدّية إلى كَبَاتَاغِي - وهذا هو اسم المجرى. وكان ذلك في الموسم الممطر وكانت الأعشاب أفرطت في النمو. لم يزعجهما هذا. كانا يذهبان للبحث عن الطيور، وتَحَلِّي البراز، وصيد الجراد، وكل شيء يجلب لهم المرح. بطبيعة الحال، وحلّو مذاق المانجو الكيروسيني الخاص في موقع المجرى كان جاذبياً، هكذا عندما كانا يضربان الطريق إلى كَبَاتَاغِي، ففكرة الذهاب إلى كَارُؤُغِي، وعندما ذكرا شجرة المانجو الخاصة بِعَطْفٍ، شغلت نوح.

"دعنا نذهب مباشرة إلى كَارُؤُغِي"، كان نوح قد حثّ صديقه حسن.

"حسناً"، رضي حسن باهتياج.

ومباشرةً انطلقا إلى كَارُؤُغِي. التقطا الأحجار من قدمها وبدئا في الرمي بها على المَنَاجَاتِ الناضجة. وفي هذه العملية، كانا يقطفان المنجات الناضجة وغير الناضجة. كما كانا يجمعان تلك المنجات الناضجة وقليلاً من تلك اللاناضجة لأجل الإنضاج بالقوة في المنزل وتوجهها إلى مجرى النهر. وعندما أتيا على شجرة نخيل متقازمة، توقّف حسن فجأةً. رأى جوزة النخيل الحمراء.

"أيه... نوح... نوح، تعال وانظر هذه يَكُمُ الأحمر." بدأ يلتقطها. وأسرع نوح الذي كان يتخلف من الورا لالتحاق به.

"أين هي؟" قال باهتياج.

"انظر إليها، انظر إليها." أجاب عنه حسن.

لم ينتظر نوح أن يُعرضَ له جورة النخيل. هو كذلك بدأ يلتقطها. للأسف، امتلأت أيديهما وجيوبهما بالمنجات، لذلك التقطتا حَفْنَةً لكلٍ منهما. ثم شرعا في التقدُّم إلى المجرى لبحثا عن شُصوص الناس الآخرين ما إذا اصطادت واحدة منها سمكة، رغم أنه كان يومًا شاذًا لصيد السمك. لقد تم تحذيرهم في المدرسة القرآنية على أن لا يصيدوا السمك يوم السبت. قيل لهم أن أولئك الذين تحدوا أمر الله للقيام بذلك منذ عدة قرونٍ تحوّلوا إلى قرود. لكنهما كانا ولدين فقط، لذا ذهبا للبحث عن النهيرات لصيد الأسماك. لم يجدا شيئا. ربما لم يجرؤ أحدٌ على تجاوز الإنذار الذي طال أمده. وكذلك كانا خائبي الأمل، وتركوا المجرى. واتبعوا طريقهما إلى الورا.

لكنهما لم ينتهيا بذلك بعد. كان لنوح موهبةٌ لحفظ الطيور. وكان دائما في البحث عن عش الطير. وكانت الأفراخ هي التي تمنحه الكثير من الفرح. وكان يحب صونها في القفص. وبينما كانا يتجهان إلى الورا، لمحت عينا نوح فجأةً عَشًّا متعلِّقا على غصن شجرة مانجو تُدعى كُوَارَغِي. ذهب فورًا إلى الشجرة.

"هناك عشٌّ - أَيْسَن، عَشُّ الحمامة"، كان قد تكفَّى بحسن حيث يندفع إلى

العش.

لكن حسن الذي وقف على موضع الأفضلية كان يرى بشكلٍ مختلفٍ.

"نوح... ثعبان!" نادى صديقه بصوت عالٍ.

ثم ارتجَّ نوح لتوقُّفِ تامٍ وأطمح بصره إليه بعناية. رآه. صِلٌّ كبيرٌ، مُسَمَّرٌ قائمٌ،

التفت مستديرا من جانب غصنٍ إلى آخر. لم ير نوح رأسه أو ذيله، ولم ينتظر ليتأكد

على ذلك. ركض مثل البرق فَسَبَقَ حسن الذي اتخذ أعقابه كذلك. ركضا من خلال الأعشاب الطويلة حتى وصلا إلى الأرض المكشوفة. حينما توقفا عن الركض، تبدى نوح متحجراً. كان يَرْتَجُّ من الخوف. بدون قول أي شيء لبعضهما البعض، سرعان ما انطلقا في الانضمام إلى زملائهما في المدرسة القرآنية. لم يكثر نوح لملاحظة سخرية حسن بعد ذلك. كان يعلم أن حسن قد أنقذ حياته. وكان ديناً يأمل أن يسدّه في يوم من الأيام.

لكن الآن لم تكن هناك طريقة لسداد الدين. كان حسن فقيداً. لم يتمكن من الانتهاء بالمدرسة الثانوية. كانا من سنتهما الثانية في المدرسة الثانوية فقط. كان والدا حسن مستأجرين في مجمع عائلة نوح. وقد استأجر والدا حسن الرّاعِيَانِ خارج المجمع بعد وفاة والده. وكان نوح وحسن معاصرين - وقد بلغا من السن حوالي تسع عشرة. لكن حسن كان دائماً مريضاً. وكان له هذه الحمى المُنتَكِسَة التي أهزلته. فبدأ نحيفاً وكثير المرض.

وفي البداية، لم يعط والداه لحالته الكثير من الاهتمام. والدته، بُشْرَى، طردت ذلك إلى حيث المكيدة لواحدة من قرابة زوجها البعيدة، عمه حسن في القرية. "ألا ترين أن حسن عظام؟ لقد هزل." قالت أمّ نوح الحاضنة، أُنْتِي، لبُشْرَى. "أنا أعرف ذلك ولم أتراخ عنه. أعرف أن هذا هو صنْعُ يَدِ عدوّنا في القرية". أجابت بشرى.

"إذا أنت تحتاج إلى أن تكون جديّاً في هذه الحالة". أنا أخاف من الاتجاه الذي يتجهه هذا الولد،" قالت أُنْتِي بقلق.

"سأفعل، يُقِي بي."

سأخذك لترى رجلاً في القرية المجاورة إن شئت. الرجل ماهرٌ في الأدوية

العشبية."

"لا أقلق."

وهكذا أُعْطِيَ حسنُ كلَّ أنواع الأشرطة المزججة للشرب. قامت بُشْرَى أيضا بسلسلة من التضحيات المحمومة. ولقد نُقل إلى المستشفى حيث قام الأطباء بتشخيص المرض على أنه ملاريا.

"سنقوم بمخلط كلِّ من أدوية الرجل الأسود والرجل الأبيض"، قالت بُشْرَى باستسلامٍ لدرجةٍ ما.

لكن حسن لم يتعاف تماماً من المرض. لم يكن أبوه، ساج في المجلس المحلي، يستطيع دفع فاتورة علاجه في مستشفى مديني. أقل ما يمكن أن يفعله هو أخذ حسن إلى مستوصفٍ في كل مرة أضناه المرض. كان تحت رعاية با-حسن عائلته المكونة من زوجتي وعشرة أطفال. كانوا يعيشون في شقة من ثلاث غرف مع غرفة معيشة واسعة. كان با-حسن في غرفة واحدة، وزوجتاه، وثلاثة بنات بالغات وخمسة أطفال آخرين، تتراوح أعمارهم بين خمسة أشهر وستة أعوام احتلوا الغرفتين الأخريين. كان حسن وأخوه الأصغر ينامان أحياناً في غرفة المعيشة أو يلازمان الأصدقاء. كانوا قد يستخدمون جميعاً مرحاضاً محفوراً، بينما تتناثر النفاية في المجمع الذي انقسم إلى قسمين. عاش نوح ووالداه بالتبني في الجانب الآخر من التقاطع. أنتجت البيئة الرطبة رائحةً عفينةً من النفاية والبراز في الفناء الخلفي.

تفاقت حالة حسن في نهاية سنته الأولى في مدرسة الثانوية اليومية، بانين. كان قد ضعف إلى حدٍ بعيدٍ. وتبدى شاحباً وضارباً إلى البياض. ومقلتا عينيه كانتا أصفرَ مُحْضَرَّ. يترأى أن كُرِّيَّات الدم الحمراء انعدمت من مجرى الدم. لم يكن يأكل جيداً. وكان والده يعاني من الإرهاقات في الحصول على دوائه من المستوصف. لا يستطيع أن يزيد على ذلك. نوح معصوفاً به. وكان أيضاً ذا عاهة. ولم يكن لديه أحد يسرع إلى ذلك يمكن أن يساعد حسن.

كان حسن وَعِكَا منذ العام الواحد تقريبًا. في جميع الاحتمالات، كان نوح مقتنعا بأن صديقه يعاني من الملاريا. بعد وزن ما رآه حول صديقه من دروس العلوم الصحية في المدرسة، كان يعلم أن حسن قد لَعَسْتَه البعوضُ المسببُ للملاريا. وكان يدعو الله في السرّ أن يُزيل عن صديقه المرض. ولكن حسن لم يبق أمام المرض. لقد مات.

"يا نوح اصبر. إنه مشيئة الله." سمع صوتًا قال وتمسكت به يدٌ من الرسف لرفعه. نظر إلى الفوق ورأى أنه كان والد حسن. تفجّرت الدموع من عينيه مرة أخرى. نظر إلى أسفل ورأى الراية الجديدة التي كانت لقبر حسن. في الوقت الحالي، بدأ أولئك الذين جاءوا للدفن بالمغادرة. نظر إليه نوح وشاهد مقابر قديمة متناثرة حوالیه. بعضها معلّمةٌ بعلامةٍ والبعض غير معلّمةٍ. وفي السر، قرّر أن يحضر في اليوم التالي لوحةً لِيُعَلِّمَ لقبر صديقه علامةً شرفٍ له. في تلك الليلة لم ينم. والآن وقد عرف الدمار الذي كانت البعوض قادرةً عليه، أعلنها كعدوّ له.

لقد صمّم على شن حربٍ قاسيةٍ ضدها. ولكن أثناء استعداده للنوم، كانت بعوضةٌ تصوّت في أذنه وكأنها تختبر إرادته. لقد انزعج. قام بتشغيل الضوء. وبعد ذلك أدرك بعوضتين بعينيه تجتازان جيئةً وذهابًا عبر الغرفة. هَجَمَ على واحدٍ منهما ومزّقه بكل قوته على الجدار. استيقظ هذا رفقاء غرفته من النوم. كانوا ثلاثة - عمه واثنين من أبناء أخيه. عندما نظر إلى كفه، رأى الدم.

"ما هذا؟" سأل عمه.

"البعوض" أجاب.

"امنش..."، هَسَّهَسَ عُمُه. "من الأخرى أن تنام،" بشكلٍ ساخرٍ.

لكن الدم أزعج نوحا. "دم من هذا؟ عمي أو ابن أختي أو لي؟ هل يمكن لأحدٍ منا أن يصاب بالمalaria؟ ظل مستيقظاً بينما كانت ذاكرته تطلب الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها كثير. بعد فترة طويلة، أذن المؤذن بصلاة الفجر. وبعدئذٍ تذكر واجبه تجاه صديقه مباشرةً. لتعليم قبره بعلامةٍ، وشنّ الحرب على البعوض.

حصادٌ للكراهية

صاحت كِيَاتَسُوا صِيحَةً صاخبةً هزّت قرية إِيْزُورُو بأكملها في الساعات المبكرة من هذا الأربعاء المشعوم. ارتدت الصيحة في القرى المجاورة. لقد استيقظ الجميع تقريباً من النوم وجعلتهم يركضون نحو مجمع غَوَزَان أحد المجمّعات السبعة في قرية إِيْزُورُو. سارعت النساء إلى أخذ وشائهنّ وحُجُبهنّ؛ كذلك ارتدى الرجال بملابسهم. هرعوا جميعاً إلى جهة البكاء. من خلال طبقة الصيحة، كانوا يعلمون جميعاً أن الأسوأ قد حدث وصرخوا وهم يتحشّدون نحو المجمع.

"يا لا إله إلا الله، يا، لا إله إلا الله"، قالت النسوة أثناء توغلهن في مجمع غَوَزَان.

"لقد وجد المرض شفاءه. أوو، لقد فعل الموت شيئاً خطيراً،" بعض النساء كنّ متحمسات أثناء البكاء.

قال بعض الرجال وهم يسيرون بشكل احتياج نحو المجمع: "إنا لله وإنا إليه راجعون." في الوقت المحدد، كان الأطفال والشبان يتجمّعون تحت أشجار المانجو التي نَقَطت القرية. كانوا مذهولين جداً أن يتنقلوا.

اختلط صراخ البالغين مع صفير الخفافيش لخلق نوعٍ من ترنيمات جنازتيّة. مثلما كانت الخفافيش تنعي وفاة با-أحمد الذي مات فجأة في أثناء نومه.

هذا الموت المؤلم كان بطريقةٍ أو أخرى راحةً للميت. وكان موته قد أخذ آلام أشهرٍ عانى منها بسبب قدمه المتقرّح. حصل على الجرح من أذى إبرةٍ عاديةٍ تحمّله في طريقه إلى مزرعته. كان قد خرج في ذلك اليوم كالمعتاد مع مجرفة على كتفه وقميصٍ بالٍ. وقد قرر أن لا يأخذ دراجته في ذلك اليوم. بطريقةٍ أو أخرى، لم يشعر بأن يركب الدراجة في ذلك اليوم. وهكذا كان يسير مُجْهِدًا سريعًا عبْرَ الطريق التي أدت إلى مزرعته. كان حافي القدمين. ثم في منتصف الطريق إلى مزرعته، شعر بِوُخْزِ نقطةٍ إبريّةٍ

تحت قدمه اليسرى. وكان التأثيرُ فقدانَ الإحساس اللمسي. شعر بِذَوْبَانٍ حَسْبِ تَمَوَّجٍ من خلال ساقه إلى بقية جسده. كان بلا حَرَائِكٍ لحظةً. ثم بجهد تحرك الساق المصاب وتنجَّى جانبًا. نظر إلى الأسفل لرؤية ما الذي قد وَخَزَهُ. لم ير شيئًا. استخدم مقبض مجرفة للبحث عن الرمال. ومع ذلك لم يستطع رؤية أي شيء. تخلى عن البحث.

ثم استخدم مجرفته ككرسيٍّ وجلس عليه، ووضع ساقه على فخذه اليمنى. لاحظ النقطة من حيث وخزه الجسمُ. كان هناك قطرة صغيرة من الدم تقطر من ثقب الدبُّوس. أزال الدم ليراه واضحًا. خرج المزيدُ من الدم في نقطة الإبرة. ثم جلب بعض الرمل ومسحه على الفور لإيقاف الدم. وضع ساقه على الأرض وداسه عليها. ثم حاول النهوض. صدمه حِسٌّ مدهشٌ وانهار على الأرض.

هكذا بدأ خصم با-أحمد. لقد كان حَقَّ عليه وأسرته قضاءً سوء الحظِّ إلى حدٍّ بعيدٍ. كان لديه زوجة واحدة وثلاثة أطفال - ابن وابنتان. كان الابن، أحمد، الابن الأكبر. كان في الثانية والعشرين من عمره، بينما كان عمر ابنتين ثمانية عشر وتسعة عشر سنة على التوالي. كانوا جميعًا البالغين للزواج، وكان با-أحمد يستعد لذلك في ذلك الوقت. كان بسهولة واحدًا من المزارعين الناجحين في القرية. كان في منتصف ثلاثينياته. وكان يتطلَّع إلى اليوم الذي سيعطي فيه بناته للزواج، فضلًا عن وجود ابنة زوجته. وكان متحمسًا جدًا عندما اشترى صناديق أَيْكُولَاكٍ لأولاده، لم يتردَّد لِيُظْهِرَها لأخيه الأكبر، يا-عثمان. على أي حال، فإن عرف قبيلة، تَأْمَكِبُو، طَالَبَ منه أخذَ أقاربه بثقةٍ في مثل هذه القضايا.

"أريدك أن ترى الصناديق التي اشتريتها لأطفالك"، قال با-أحمد وهو يشير عادةً إلى أولاده. كان من المعتاد في أرض تامكبو لأخ أصغر أن لا يستحقَّ أبناءه في حضرة أخيه الأكبر أو الشيوخ الآخرين من أقربائه. كان ذلك للأخ الأكبر على التوالي. كان هذا ببساطة لُطْفًا أو إِدْنًا.

"حسنا أرى ذلك. هي صناديق رائعة. وفقكم الله لتملأها بملابس راقية." كان

يا-عثمان قد رد وئنتي شفتيه وهو يقول ذلك.

"آمين!" ابتسم با-أحمد. لقد رأى الطريقة التي أنتأ أخوه شفتيه.

على الرغم من تحفظ يا-عثمان المتواضعة، أخذه با-أحمد دائماً بثقة. حتى إنه

ترك أمور خطب أطفاله في يدي يا-عثمان كطريقة لإظهار الإذن. قرر يا-عثمان

المهر ووافق على طالبين أيدي بنات با-أحمد. كما أنه وسيط أو سمسار للقيام بعملية

الخطوبة لابن با-أحمد. كان ذلك هو الشذا والاحترام الذي خلَّقه با-أحمد في علاقته

مع أخيه. كان هذا على الرغم من أن علاقته مع با-عثمان في بعض الأوقات

متصلبة والميول التيقية. مع أن موقفه هذا هدّد أن يكون حاجزاً ضاراً في علاقتهما

الاجتماعية، إلا أن با-أحمد لم يسمح بذلك أن يعترض على طريقه. كانا يتقاسمان

نفس النسب - ولدا من نفس الأم والأب. للأسف كانا هما المتبقيان فقط. لقد مات

والدهما، وخمسة أطفال آخرين أيضاً. كانت القصص متفشية على أنهم قتلوا على يد

عمّة والديهما التي كانت ساحراً. هي أيضاً قد ماتت.

كان لدى با-أحمد ميلٌ غير عاديٍّ للصراحة والرزانة. لقد كان رجلاً لطيفاً

وسعيداً أعجب به عددٌ كبيرٌ من القرويين. وبالجملة، كان قادراً على اتخاذ خطوات

واسعة لتقلبات يا-عثمان الموقفية.

ومع ذلك، فإن الكثير من هذا قد تغير بسبب البلاء الذي عانى لتوّه. أصبح

واعياً وبائساً - وكان محزناً من وهم تحوّل الأحداث في حياته. أصبحت قدماه على

أسوأ حالةٍ ومقرحة. الألم الشديد الذي عانى منه جعله نحيلاً وضعيفاً. لا يستطيع أن

يجرث مرة أخرى ولا يستطيع فعل أيّ شيءٍ بنفسه. كان مثبّط الهمة نتيجةً للأذى. لم

يستطع أن يذهب به إلى المستشفى خوفاً من الحقن الذي يؤدي إلى تفاقمه له. وقد

نصح أن لا يذهب إليه بضعة أسابيع من الحادث.

"لا تذهب إلى المستشفى لأنه إذا كان لآتٍ أو سرطاناً سيصبح قرحة عندما يتم حرقه" حذر صديقه سونسون.

"هيم، ماذا أفعل بعد ذلك. هذه الرجل تسبب لي الكثير من الألم"، قال با-أحمد باستسلام.

"دعنا نطلب اهتمام مالم خارج هذه القرية. الله يغفر لنا، لكن رأيي يقول لي إن هذا قد يكون من صنع شخص ما،" كان سونسون يعتقد.

"لا، يا سونسون. لماذا تتحدث هكذا،" قال با-أحمد بلطف.

"سيمون، أنت تعرف جيداً ما أتحدث عنه. لا تتظاهر. كلنا يؤمن بهذه الأشياء." "أنت تعرف أن في قريتنا هذه لا تترك شيئاً للصدفة،" قال سونسون شارحاً.

"حسناً، أنا معك على ذلك إذا خلصني من هذا الجرح الخطير،" قد رضي با-أحمد بتحذير سونسون.

"الآن تتحدث. أنا أعرف رجلاً في قرية تدعى كوشيبا. لكننا لن نخبر أحداً عندما نعزم على الذهاب"، قال سونسون نهائياً.

كان أسوأ خوف كوشيبا الذي تأكد له. وكان مالم رجلاً طويل القامة نحيفاً ورجل هرمًا بُنيّ البشرة الذي كان في منتصف خمسينياته. لقد تبدى ضعيف البنية مثل القصب؛ تحول رأسه أبيض. كان يرتدي قبعةً قذرةً وعلى حدٍ سواء، يرتدي رداءً قذرًا على رأس قطعة من الثوب الذي كان يرتديه مستديرٍ خصره. جلس على جلد ماعز وسط أدوات حرفته. كان يذهب إلى العمل حالما استقرت زواره بدون انتظار أن يقال لهم أيّ شيء. لقد رأى جرح با-أحمد. كان يعلم من خلال الممارسة أن الوضع الذي في متناول اليد كان خطيراً ومطالباً للإحاطة. وطرح برمله. ثم توقف. وطرح به مرة أخرى. هذه المرة بأكثر توقد الذكاء. هز رأسه. ومثلما فعل ذلك، تبادل زواره

نظرات أكثر قلقٍ من حبّ الاستطلاع. نبض قلب با-أحمد بسرعة. ماذا سيكشف؟ ماذا رآه بالفعل؟ من سيكون مسؤولاً؟ مرت هذه الأسئلة من خلال عقله مثل التلاعب بالمونتاج.

"أنت، أيها المريض. لديك أخ كبير، أليس كذلك؟" سأل الرجل أخيراً.
"نعم،" أجاب با-أحمد مع بارتجاج. قلبه ينبض بسرعة شديدة الآن. أصبح أكثر يقظةً وأكثر قلقاً.

لم يقل الرجل أي شيء آخر أيضاً. هو فقط يطرح رمله مرة أخرى بينما يغمغم شيئاً بشكلٍ متقطع. أراد أن يكون أكثر دقةً فيما شاهده كان دقيقاً. هذه المرة اتضح كلُّ شيءٍ مرة أخرى حيث أن رآهم للمرة الأولى. لقد رأى أن مريضه كان له بضعة أيام أخرى ليعيش فيها. في هذا الظرف، كان لديه قليلٌ جداً أو ليس له أيُّ شيءٍ يفعل لمساعدة المريض. ثم توقف فجأة ونظر إلى مريضه مباشرةً في العينين.

"الحرب قد أبادت المدينة الآن." قال ذلك بصوتٍ غير مسموع.
"أوهن" اهتزَّ سونسونٌ إلى الأمام للتأكد من أن يسمع ما قاله الرجلُ جيداً.
"لقد تعمق فيه المرض كثيراً الآن. لكنني سأرى ما يمكنني فعله". قال الرجل مورياً قوله الأول.

"ولكن ما هي المشكلة بالضبط؟" طلب سونسون أن يعرف ذلك.
"إنه من صنع أخيه الأكبر. حسداً. يخشى الأخ أن يصبح المريض أكثر ازدهاراً منه، وأن يذيع صيت ابنه حتى خارج قريتك، يخشى أن يكون ظلّ المريض وأشقائه ملقياً عليه."

ثم أطلق على المريض إبرةً مسمومةً عن طريق سحرٍ تحت القدم. كان يتبغى للمريض أن يقوم على ساق الجد حقيقةً،" قال الرجل أخيراً.

تدقق با-حمد فجأة عند سماع هذا الوحي المثير للبغض. كان متحيراً بشكل واضح. لم يستطع أن يُصدّق ما كان يسمعه. أخوه الشقيق؟ الشخص الذي كان يثقُ به كثيراً، والذي كان يناقش معه كلَّ شيءٍ يَمَسُّه، وجميع مخططاته تقريباً. لا يُصدّق! ثم نظر إلى القدم المؤلمة كما أنه كان ينتبه إليها في المرة الأولى. القدم قد تَوَزَّمتِ الآن. إنها الآن تقطر ماءً. انفتح الجرحُ وكان يَنْتُنُ كثيراً. لقد تَصَدَّعَ الجزء العلويُّ من القدم وهي الآن انقشرت مثل حَيَّةٍ تَسْلُخُ سَبِيَّهَا. ثم اغْرُورَقَتْ عيناه. وكانت الدموع تجري بحرية على مُصَعَّرِ وجهه.

"أَيُّ عَالَمٍ هَذَا؟" إنه قال نهائياً بين تنهّداته.

لم يحاول سَوْنُسُونُ أن يمنعه من النَشِيجِ. وكذلك الرجل العجوز. كلاهما كانا يعرفان مدى الأذى الذي يمكن أن يشعر به المكروه من قبل أخيه؛ حتى أن يكون هناك سحرٌ مطروحٌ على أحدٍ من قِبَلِ شقيقه الدموي الذي يجب أن يكون حِصْنِ الحَبِّ، المؤمَّن على الأسرار، الحليف في هذه الرحلة الشاقّة والصعبة طَوَالَ الحياة. لكنهم عرفوا أن مجتمعاتهم كانت مليئة بمثل هذه المجموعات من الناس ذوي القلب القاسي؛ الناس الذين يشعلون مقياساً من حطب العلاقات الشخصية بتلْهُبِ الكراهية والحسد والحقد. تغيّظ سَوْنُسُونُ من هذه الحقيقة ولكنه كَبَّحَ على غضبه.

ثم سأل الرجل العجوز برزانة:

"ماذا تستطيع أن تفعل الان؟"

"حسناً، سأعطيكم أسبوعاً واحداً للرجوع والاستعداد للعودة إلى هنا. سيعطيني هذا وقتاً كافياً لإعداد جميع الأشياء الضرورية لعلاجي"، وقال الرجل العجوز مراوئياً. كان يعرف جيّداً أن با-أحمد لم يكن لديه الكثير من الوقت ليعيش فيه. كانت مسألة أيام فقط قبل أن يموت.

"ألست بقادر على أن تبتدأ الآن. لقد كانت رِجلُهُ سيئة كما يمكنك أن ترى وهو يعاني كثيراً"، وقد اعترض سُونْسُونُ بِلُطْفٍ.

"أنا أعرف بما يمر من خلاله. لكن من المهم أن يعود إلى المنزل. أريد أن أقوم استعدادٍ دقيقٍ للغاية لعلاجهِ. هناك بعض الأشياء التي أحتاج إلى شرائها في المدينة، بعض الأوراق التي أحتاج إلى جمعها في أيام محدّدة في أعماق الغابة. إذا ذهبت إلى الغابة لا أخرج منها في الوقت الوجيز. لذلك لن يُؤدِّي الغرض إذا بقيتَما هاهنا. من الأفضل أن تذهبا وتعودا بعد أسبوع من اليوم،" أصرَّ الرجلُ العجوزُ على ذلك.

"حسنًا إذا. تَوَقَّعْنَا يومَ الأربعاء في الأسبوع القادم"، اتفق سُونْسُونُ.

بقي با-أحمد صامتًا طوْلَ الوقت. ترك صديقه ليقوم بالحديث. جلس هناك مباشرةً يفكر في تعقّد الحياة التي بدت له الآن هُراءً مُصَعَّدًا تنبعث من لفيفةٍ مُحَشَّنَةٍ. لقد سمع كل ما قاله الرجل العجوز. لم تكن لديه مشكلة في الرجوع في أوان أسبوع. وليست لدهما مشكلة في الرجوع أيضًا. لقد استأجرا سيارة للرحلة.

وحيث إن القدر سيحصل عليه، توفي با-أحمد في الساعات الأولى من يوم الأربعاء الذي كان واجب العودة إلى كُوَشِييَا. صدم موته الجميع. كان حادثةً مؤسفةً جلبت الحزن لزوجته، كَيْتْسُونَا، وأكثر لأطفاله وخاصة أحمد. لكن سُونْسُونُ كان أكثر فاقِدٍ بسبب تعرُّفه بالمتوفى ومعرفته بقضية موت المتوفى. كما شعر بالحزن إلى حدٍّ ما لأن الطريقة التي مات فيها صديقه أصبحت طريقة أسباب الموت في قريتهم والقرى المحيطة بها. لم يكن سماع الموت غير المألوف عن طريق السحر، السحرة وجميع أنواع محفزات الموت. كان على هذا السيناريو الذي كان ينبغي سُونْسُونُ أن يتوخى الحذر في الحياة في إْتِيْرُورُو. لكن با-أحمد كان غير مباليّ بقطعات نصيحته المحذّرة. وكما شعر الجميع بالحزن على وفاته، شعرت كَيْتْسُونَا بالحزن الشديد من أنه مات بدون أن يشهد زواج أبنائه. كان هذا بمثابة كابوس مؤلم لها. دفن با-أحمد بين عويلات. جميع

الرجال والنساء والأطفال بكوا بحرية أثناء حمله إلى المقبرة. كان ذلك اليوم الأكثر حزناً في قرية إتيوزورو. ولفترة طويلة جداً كانت هالة وفاته معلقة فوق القرية مثل سحابة مظلمة. أولئك الذين عرفوا سبب وفاته بطريقة ما تحدثوا عنه بأصوات هادئة خاصة عندما كان يمر يا-عثمان أو أحمد. لم يتمكن سونسون أيضاً من تفقد الشجاعة الكافية لإخبار أحمد بكل ما يعرفه ب وفاة والده. وكان دائماً يفكر في أن أحمد كان لا يزال ولدًا صغيرًا حتى عندما كان يقرب ثلاثة وعشرين من عمره. وكذلك حتى عندما كان الشبان من عمر أحمد يعرفون بطريقة ما سبب وفاة أبيه، لم يكن هو يعرف شيئاً عن هذا الأمر. عاش في مجتمع كان الكثير من المعلومات عن شخص يعرفه الكثير من الناس، ولكن بالكاد يستطيع أن يعرف الشخص نفسه. مثل هذه المعلومات تتعلق بالخلفية العائلية، وتربية الأهل، أو بعض التفاصيل التاريخية عن الفرد، عادة تُخفي وتُهمس بها. كانت الشيوخ لا يكادون يفتحون مثل هذه القضايا أمام الشبان.

وهكذا عاش أحمد تحت وصاية عمّه، يا-عثمان. تزوجت والدته، كيتسوتا مرة ثانية. واحتفظت بالمعلومات نفسها -المعلومات الصغيرة التي اكتشفتها عن نفسها- حول وفاة زوجها بالقرب من صدرها. اكتشفت على نحو ما أن موته كان عملاً شخصياً، لكن من هو، لم تعرفه. بعد أن تزوجت مرة ثانية بعد وفاة زوجها بعام واحد، وجعلت كل الحزن الذي شعرت به إلى الوراثة. وكان أحمد قد جعل حزن وفاة والده إلى الوراثة أيضاً. هو الآن يحرث مزرعة والده مع مزرعته الخاصة به. ولكن قبل أن يتمكن من الحصول على ملكية مزرعة أبيه الأرزية لا بد أن يرى عمّه وجهًا بوجه. كان عليه أن يقف بحزم ضد عمه الذي أراد أن يطالب جزءاً أكبر من المزرعة.

"الآن بعد أن أصبحت تملك مزرعة والدك بأكملها، أشعر أنها كبيرة جدًا من أن تُديرها وحدك. ما أريد أن أفعله لك هو أن أعطيك جزءًا كبيرًا يمكنك إدارته بينما أملك البقية لك حتى تبلغ العمر." قال يا-عثمان مناشدًا لأحمد.

"لا أعتقد أن المزرعة كبيرة جدًا بالنسبة لي. وعلاوة على ذلك، يمكنني دائماً أن أجد زملائي في هذه القرية وقرية أيتيب لمساعدتي في ذلك،" رد أحمد على ذلك بشكل غير ملتزم.

"أيهن... لقد صرخ، حسناً، أنا لا أريد حتى أراجعك. يجب أن أفعل ما أريد ولو كنت ترغب في ذلك أم لا. واسمح لي أن أخبرك، إذا كنت لا تخاف الله، فسوف تخاف ما خلق،" لقد رد يا-عثمان بشدة.

كان غاضباً بشكل واضح من موقف ابن أخيه المتشدد.

"لكن يا-عثمان..."

"لا... لا... لا تقل لي بابا. أنا لست أبوك. وقبل أن أفتح عيني، لا أريد أن أراك في مرآي"، فطرد أحمد غاضباً.

في تلك الليلة لم يستطع أحمد النوم. وظل مستيقظاً في الجزء الأفضل من الليل. حيث طرح نفسه مستلقاً وتفكّر في ملاقاته مع عمه. كان قد ذهب ليخبر والدته في مساء ذلك اليوم. ولكن بدلا من تقديم المشورة له أجهشت بالبكاء. وبينما كان يطرح نفسه مستلقاً على السرير في تلك الليلة، تساءل عما يجب فعله في الحادثة، تساءل عما كان يعني به عمه "إذا كنت لا تخاف الله فسوف تخاف ما خلق". بعد قضاء الوقت الطويل في الليل حول المسألة، توصل إلى الختام بإحضار الشيوخ إلى المسألة لمساعدته على عمه.

في الصباح الباكر من اليوم التالي، ذهب لرؤية صديق أبيه، يا-سونسون. قابله أحمد بعد تجهيز دراجته للذهاب إلى المزرعة. تبادلوا التحيات.

"لقد جئت لرؤيتك حول قضية"، قال أحمد.
"حسنًا، اذهب إلى الداخل. سوف ألتحق بك قريباً"، أجاب سونسون. وبعد دقائق التحق بأحمد في الغرفة.

"نعم، ما الذي تريد رؤيتي عنه"، قال سونسون وهو يجلس.

قال أحمد: "الأمر يتعلق ببا-عثمان."

شعر سونسون بالقلق لكنه أخفى ذلك.

"نعم، ماذا عنه"، قال مهدوء.

بهدوء، بدأ أحمد في إخباره عن ملاقاته مع عمه. روى أحمد كل شيء، وحينما فعل ذلك أصبحت مخاوف سونسون واضحة. وتساءل عما إذا كان هذا هو الوقت المناسب لإخبار الولد عن كل شيء يحتاج إلى معرفته بالنسبة لعمه.

ما أخبر به الولد لتوه كان آذاناً لتهديدٍ دقيقٍ لحياة الولد. وبدلاً من ذلك أن يقرر لنفسه تحذير الغلام في الوقت الحالي وأن يواسيه. كشيخ كان يعرف أنه لا يحتاج إلى جعل الوضع أسوأ.

"نعم، لقد سمعت كل شيء قلته. أريدك أن تستمع بعناية إلى ما سأقوله لك الآن"، لقد سكت لفترة من الوقت ثم استمر، "إنها رسالة من والدك قبل أن يموت. كان قد طلب مني أن أحذرك من أن تكون حذرًا في عمك، وأنه يجب عليك أن تسير في الحياة سهلاً لأنه يقال إن الثعبان الذي يرفع رأسه يصاب بعصا. هل سمعت ذلك؟" قال ذلك مناشدًا.

"نعم، سمعت ما قلته"، أجاب أحمد. "خذ الأمر بسهولة معه. إنه شخص شرير. ويقال إذا لم تأكل بسكين لم يقطع يدك. اترك كل شيء لي. سوف أجد شيوخ القرية الآخرين للتحدث معه. الآن لا تفعل شيئاً يُزعجه. هل سمعتني؟"

"نعم، سمعتك، با-عثمان."

"الآن يمكنك الذهاب. مهما قررنا، سأخبرك."

"شكرا لكم. ولكن كان هناك شيء آخر أريدك أن تفعله لي. أريد تاريخ زواجي وذلك الذي لشقيقتي أن يُحدّد. أنا لا أريد أي مشكلة أخرى في ذلك،" قد ناشد سونسون.

"أنت على حق في ذلك. سأرى ما يمكنني فعله."

كل هذا حدث بعد عام من وفاة با-أحمد. لم يستطع أحمد أن يزرع في مزرعة أبيه في تلك السنة. كان على أية حال أن يفعل ذلك في موسم الزراعة القادم. وقد أكد له شيوخ القرية أنه لا يكون هناك أي مشكلة. زواجه أيضا قد تم تحديده في الشهر المولود الذي كان يتوافق مع وقت الحصاد. استعدادًا لذلك، بدأ بتخزين المواد الغذائية وتوفير بعض الأموال. لم يكن يريد أن يفاجأ عمه.

سرعان ما جاءت الأمطار. كان قد وجد كلمةً من الشيوخ تشير إلى أن يا-عثمان تخلى عن المزرعة على كُرهٍ بالرغم من ذلك. وابتهج هذا أحمد الذي جمع أقرانه من داخل وخارج القرية تفرغًا من الأعشاب في المزرعة. كان حقل الأرز منطقة مستنقعية واسعة من عدة أكرات. كان يعمل في مزرعته الخاصة وفي مزرعة والده، مزارع الذرة والبقول السوداني واليام والبطيخ والدخن. وفي ذلك العام، كان نزل المطر غزيرًا، وكانت المزارع تعطي الكثير من الغلات. لقد حصد الحصاد الكثير جدًا بشكلٍ خاص في جميع مزارعه. في تلك السنة أيضًا، تزوج بعد أن بلف أربعة وعشرين من عمره. أصبح حصاده حديث القرية وإلى ما بعدها. لم يكن يعلم أنه فاتته خطوة من علاقته مع عمه.

على الرغم من ذلك، ومع ذلك، كان لديه غلات أفضل من مزارعه. كانت الأمور تحدث بسرعة بالنسبة له. أنجبت له زوجته مولودًا. وسمى الصبي محمودًا، الذي كان سميَّ جد أحمد كوشي. كانت عادة شعب تانكبا تسمية أبنائهم بأسماء

أسلافهم. هؤلاء الذين أطلق عليهم هذا الاسم أصبحوا كُوشِي، أسلاف العائلة الذين ينتمون إليهم. كانت طريقتهم في تذكّر أو تخليد الموتى.

بدأ أحمد يقبل على إصلاح مُجمّعه. يستخدم عوائد بيع منتجات المزرعة الخاصة به؛ اشترى الزنك لإعادة سياج المجمع الذي كان يحتوي على سياجات من القشّ. جميع الديار في القرية بُنيت على طينٍ ولبنةٍ من طوبيةٍ سُقِّفَتْ بأسقفٍ من القشّ. بُنيت البيوت في تلك الديار بالطوب والطين وسُقِّفَتْ بالقشّ. كان المسجد الموجود في وسط القرية فقط مختلفاً عن بقية المباني. كان له سقف من الزنك المموج، وكان له جص أسمنتي على الطين الطوبي. كان ملوّناً باللون الأزرق.

وبدا كذلك في اشتراء الأسمت استعداداً لتبليط أرضية غرفته الخاصة وتلك التي لزوجته ليحل محل أرضية روثية للأبقار. كما أعطى بعض المال لعمه صيانةً له.

بعد ثلاث سنوات، أنجبت له زوجته طفلة... أطلق عليها اسم "ننا-خديجة" اسم أم زوجته. وفي السن الرابع، أرسل محمود ليعيش في بلدة أيسُنْتِي مع أخته الصغرى المباشرة، لِيُسَجَّلَا في المدرسة هناك. هكذا بدأ أحمد تنظيم عائلته. عمل بجِدِّ في مزارعه واستخدم عائداته حَذْرًا للأشياء التي لم تُفِئْهُ وحده فحسب، بل بقية أفراد عائلته الممتدة. كان في بعض الأحيان يشتري ملابس لابنتي عمه، وزوجات يا-عثمان الأربعة. كان لدى يا-عثمان سبعة أولاد - ثلاثة ذكور وأربع إناث. كان أصغرهم، كُدُّ، أصغر بقليل من أحمد. أكبرهم، فاطمة، كانت متزوجة في قرية مجاورة. لديها أيضا ثلاثة أولاد. واشترى أحمد دراجة لأكبر ولد ليا-عثمان، بالا، الذي كان لديه زوجة وثلاثة أولاد.

أصبح أحمد المظلة التي توفر الحِمَى لمجمع غَوْزَانُ بأكمله. كان الله قد فضّله لدرجة أنه كان يحصد في بعض الأحيان أكثر من مائة كيس من الأرز، وحوالي خمسين كيساً من الذرة الصفراء، وسبعين كيساً من الذرة الغينية من مزارعه. كان هذا

بالإضافة إلى الكثير من غلات الفول السوداني والدخن والبطيخ. وكان يعني كل ذلك المال والازدهار. بدأ الاستثمار في الماشية. بدأ مع عشرة قُطعان. كما بدأ كذلك مُحَطِّطاً لأخذ والدته لرحلة الحج. لكن بهذا السبب، كان يمكث فترةً قصيرةً. لم يكن متأكدًا بما يشعر به با-عثمان. وإذا ما أخذ با-عثمان لأول مرة، فهو لم يكن متأكدًا من كيفية شعور أمه أيضاً. قرر الاحتفاظ بالخطة لنفسه.

عاش أحمد كنجم بين زملائه. محمود الذي كان الولد الوحيد الذي التحق بمدرسة في القرية والقرى المحيطة بها، أكمل دراسته الابتدائية بدون مشكلة. انتهى من مدرسة أيسُنْتِي الابتدائية. وفي الوقت اللاحق، تم قبوله في الكلية المركزية في مدينة بِيَنِي التي كانت بعيدة عن قريتهم. هذا لم يثبط همة أحمد.

"أريده أن يحصل على تعليم الرجل الأبيض. دعه يذهب إلى أي مكان بحثًا عن هذا التعليم. لا يُرْعَجِنِي ذلك،" كان أحمد قد قال لأصدقائه يحيى وآدم.
"كاي... بِيَنِي... لم أسمع بهذا الاسم من قبل." كان يحيى قد تساءل.
"ما أفكر به هو كيفية الوصول إلى ذلك المكان"، قال أدام.

"لقد سهّل الرجل الأبيض كل شيء بالنسبة لنا. هناك سيارات على الطريق الآن. وعلاوة على ذلك، أخبرني أن هؤلاء الذين سيذهبون إلى تلك المدينة يجتمعون في مجلس المدينة حيث سيتم نقلهم بالحافلة إلى المكان،" قدم أحمد شرحًا.
"هذا جيد. أمل أن يعيدوهم أيضاً"، استفسر يحيى.

"نعم، سيفعلون. أنت تعرف كيف يفعل أهل المدرسة أشياءهم. لكن لحل المشكلة، عندما أرى كيف تسير هذه الرحلة الأولى، أعتقد أنني سأشتري سيارة تنقله إلى المدرسة. بالرغم من أن هذا سيكون بعد أن أخذت ننا- كِيَاتْسُوَا إلى الحج، فقد ترك حارسه هناك عندما قال ذلك. لقد اشتغل بإمكانية نجاح حضور ابنه مدرسة في أرض بعيدة.

"هذه خطة جيدة. أنت تعرف أن التعليم شبيهة بالادّخار. عندما تبدأ في جنيها أنك سوف تنسى كل المعاناة التي مررت بها. على أية حال، أليس بالتعليم أن هؤلاء الأشخاص الكبار أصبحوا الآن كبارًا؟" قال يحيى مشجعاً.
"هذا صحيح. أنا أتفق معك،" لقد وافق أحمد.

وما هي إلا أن ناقشوا هذا الأمر حصل يا-عثمان على اتجاه خطط أحمد. ضحك مباشرةً ضحكاً ليس فيه مرخٌ "سنرى أين سيوقف السيارة في البيت"، وقال ذلك تحت أنفاسه. أحمد لم يعرف هذا. شعر بالتشجيع في تعليق يحيى. كان يقرب الآن من أربعين عاماً. لقد أدرك أنه بالإضافة إلى استخدام السيارة لأخذ محمود إلى المدرسة، يمكنه أيضاً استخدامه كسيارة لنقل الرُّكوب. يمكنه استخدامه لنقل سكان قريته إلى السوق في بلدة أيسُنِّي. ويمكنه استخدامه أيضاً لنقل منتجاته الخاصة إلى السوق. من المؤكد أن السيارة ستخدم العديد من الأغراض المفيدة لعدم وجود سيارة في قريتهم والقرى المحيطة بها. لكنه قرر أولاً أن يأخذ والدته للحج، ثم أنه سوف يأخذ با-عثمان معه قبل شراء السيارة. فكر في خطته بعناية. وفي السنة التالية أخذ والدته لأداء فريضة الحج.

وفعلاً كان محمود في سنته الثانية في الكلية المركزية. وكان قد استأنف لتوه في الدورة الثالثة من السنة الثانية. وكان الوقت هو نفسه الذي انطلقت فيه كياتسُوا للحج. ستمكث هناك حوالي أربعة أسابيع. وفي نفس الوقت، أصاب أحمد مرضٌ غريبٌ كانت أعراضه مثل شُوْرَاغِي أو حمى. وكان هذا في بداية موسم الأمطار، موسم الزراعة الآخر. بدأ كل ذلك بالارتعاش والضعف العام للجسم. وشعُر أيضاً بالبرودة في عظامه. حدث ذلك بين كَرِّ وفَرِّ في بداية الأمر. ثم أصبح أسوأ. لم يستطع المشي. حاول أخذ اختلاطٍ من الأدوية من عشبة من شجرة النيم، والمانجو، والبرتقال، والباوباو. حصل على فَرْجٍ قصيرٍ في المرة الأولى. ثم ارتدت حالة حُمِيَّةٌ أيضاً.

ظل يحافظ على هذه النوبة من الحمى حتى عادت كياتسوا من الحج. كانت زوجته قلقة. أصدقائه أيضا كانوا قلقين. لم يستطع أن يرحب والدته من المطار. كان ضعيفا جدا وهزيلا. بعث زوجته، حبيبة، لذلك بدلا منه. كانت كياتسوا تشعر بالقلق عندما لم تر ابنها على الرغم من أن زوجها كان هناك. تم أخيرت لاحقا عن لماذا لم يكن ابنها هناك.

عندما وصلت إلى القرية، ذهبت مباشرة لرؤية ابنها. التحقت به على السرير. بمجرد النظر إليه كانت تعلم أنه كان مريضا. كان هزيلا وتبدت بشرته بيضاء شاحبة. لم تصدق ذلك. كانت بعيدة لمدة أربعة أسابيع فقط. وكانت غير مقتضية في بعض الوقت.

واستقبلها بتحية في حالة ضعف.

وعندما وجدت صوتها في نهاية المطاف، كان بإمكانها فقط أن تقول:

"حسبنا الله." لقد أجهشت باكية وهي تقول ذلك.

"آمين" أجاب أحمد في حالة ضعف.

"سأذهب للراحة. سنتحدث لاحقا"، قالت كياتسوا بهدوء.

"حسنا".

كان أحمد ضعيفا من أن يتولى بعناية مزارعه. ومن سريره، وجد صديقه يحيى ليقوم بتوظيف خدمات الشباب في القرية. بعد شهرين، عاد محمود إلى المنزل لقضاء عطلة طويلة. لقد أصيب بهزة عندما رأى حالة والده.

"ماذا حدث؟" طلب أن يعرف من والده. أحدق أحمد إليه فقط بدون أن

ينطق بكلمة. ولم يتحرك جزءا من جسمه. ثم أجهش محمود بالبكاء، وكان ذلك ما يستطيع فعله بتاتا في هذه اللحظة. لم ير أباه أبدا في مثل هذه الحالة الفتاكة من قبل.

وبالتالي طلب تفسير ذلك من والدته، حبيبة.

"إنها شَوْرَاغِي"، قالت.

"شَوْرَاغِي؟ وهل حصل على الرعاية الطبيَّة؟" كان قد استفهم وهو مندهش تمامًا.
"كنا نغلي له الأوراق التي فقط. إلا أن معلم بابا كان يكتب له في بعض الأحيان آيات قرآنية". لقد عللت حبيبة.

"أرى ذلك. إذا علينا أن ننقله إلى المستشفى،" اقترح محمود.

"أنا قلت ذلك أيضًا. ربما، كان ينتظر أن تعود."

رتب محمود على الفور نقله إلى المستشفى. استأجر سيارة. ونقله إلى المستشفى العام في بلدة أيسُنْتِي. ومكث هناك لمدة ثلاثة أسابيع. أُجْرِيت سلسلة من الاختبارات عليه. وثبت أن لا شيء لديه من أي مرض. كان اختبارُ فيدال سليبيًا. لم يظهر في دمه أيُّ أثرٍ للعدوى البكتيرية أو الفيروسية. ومع ذلك كان أحمد مريضًا. كان يبدو مريضًا جدًّا. ثبت أن مرضه بعيد المنال للطبِّ الحديث. ولكن ما يثير الدهشة أنه في الأسبوع الثالث عندما استسلم الأطباء وكانوا يوصون بضرورة نقله إلى الساحر، استردَّ عافيتَه بطريقة ما أو بطريقة استعراضية حتى إلى دهشة الأطباء. عرف الأطباء أنهم لم يفعلوا سوى القليل للمساعدة في شفائه.

شعر بقوة في مفاصله الآن. والبرد الشديد الذي كان يقاسيه قد انكفَّ. والألم الذي كان يشعر به في جسده كذلك قد خدَرَ. "أعتقد أنني اليوم جيّد"، أعلن أحمد في ذلك الأسبوع. وكان يوم الثلاثاء.

"هل أنت متأكد من أنك في حالة جيّدة تكفيك العودة إلى المنزل"، استفهم

الدكتور حسن.

"الحمد لله، أشكر الله"، أجاب وهو يدفع الهواء بجمع كفه. فجأة شعر وكأنه

طائر يخرج من الماء.

قال الطبيب: "حسنًا، سوف يتم تخليصك على الفور."

ورجوعًا إلى القرية، بدأ أحمد يستعد لحصاد محاصيله. اشترى مناجلاً جديدةً لهذا الغرض. كالعادة، لقد جمع الناس معًا، وكان ابنه حاضرًا، لهذه المهمة. لقد قرر أن يستخدم جزءًا من المحصولات لحصاد هذه السنوات دفعًا لما لا يقل عن إيداعه للسيارة التي يريد أن يشتريها. قد اشتاق إلى سلسلة المازدا الواغون ٣٢٣.

استغرق الأمر وقتًا طويلًا غير عاديٍّ لإنهاء حصاد محاصيله. تم القيام به في موسم الجفاف الذي دام لمدة ستة أشهر. عندما تم الحصاد، أخبر ابنه قبل أن يشرع في الدراسة بالمدرسة عن خطته لاقتناء سيارة. أفرحت محمودًا هذه الخطة كثيرًا بدرجة أنه كان يتطلع إلى عطلته حتى عندما كان على وشك استئناف عامه الأخير في المدرسة الثانوية. بلغ محمود تسعة عشر من عمره. كبر بسرعة مثل القصب.

احتلم أحمد أنه امتلاك سيارة في سن الأربعين. لم يبلغ والده من العمر حيث توفي في سن الخامسة والثلاثين. بعد فترة وجيزة من أمره بالسيارة نزلت الأمطار مرة أخرى. كان عامًا آخر، وموسم زراعة آخر. ومرة أخرى نزل المرض نفسه كما كان سابقًا. هذه المرة كان أكثر شدةً. الناس من حوله كانوا منزعجين. ظنوا أنه سوف يموت.

أصبحت أمه، كياتسُوا، وزوجة قلقتين. أخذتا الدور لزيارة أحد الساحرات بعد الأخر. سعتا لمعرفة السبب لهذا المرض الغريب الذي أصاب من هو أعزهما. كانتا قد اقتنعتا أن هناك شخصًا ما كان وراء هذا الحدث الغريب. كانت كياتسُوا أكثر يقينا أن هذا كان كذلك.

كان في كُوسُوبا أن قيل لكياتسُوا بصراحة حقيقة الأمر. كانت قد ذهبت إلى هناك لرؤية الساحر الشهير، بابالآتي. وبمجرد أن حصلت على الفرصة لرؤيته بُلغت إليها حقيقة الأمر.

"عمه هو المسؤول عن مرض ابنك. وقد زرع تميمةً في ضفة نهر لجعل ابنك مريضاً في كلما بلّلت الأرض قطرةً أو طوّال موسمٍ مطريٍّ،" قال بابالاتي دون أن يلفظ كلماتٍ متنصّبًا.

كانت كياتسؤوا مذهلةً بشدة. لم تصدّق ما كانت تسمعه، وبالنسبة لها أن هذا البوح كله كان خيالاً. كانت تتمناه في الواقع أن يكون خيالاً. لكن لا يكون كذلك. كان يبدو أكثر من الحقيقة. لقد كانت حقيقةً صارمةً. كان لها الأمرُ حقيقةً بحثاً إلى أن بدأ يُديرُ عالمها في دَوْرَةٍ. كل شيء بدأ يترنح في رأسها. الساحر، الكوخ الذي كانوا يجلسون فيه، تبدّى كلُّ شيء يدورُ بسرعةٍ حتى لا ترى شيئاً.

ثم قال بابالاتي برفق:

"هل أنت معي؟"

"هيمم... سمعت كل شيء قلته. لقد استحوذت بالأشياء التي أخبرتني بها.

يا با-عثمان! "أهكذا هو العالم؟" صرخت.

"هيمم... هذا هو العالم بالنسبة لك. الناس أشرار. ما تعتقدن أنه تافهٌ لك

يمكن أن يكون بجديّةٍ من قبل شخصٍ آخر"، وعظ بابالاتي.

"بابا، أنشدك باسم الله، أنقذ حياتي. ساعدني الله. ساعدني على أن أتغلب

على هذا الشرير... " ناشدت كياتسؤوا في صوتٍ حزينٍ.

"سأساعدك. ولكن كما كان الأمر، الحالة صعبةٌ. والطريقة الوحيدة التي

أستطيع من خلالها أن أساعدك هي بنقل التميمة وتمزيقها. لكن ذلك شاقٌّ لأننا لا

نثقُ من أين هي، وأن ولدك لا ينتهز فرصةً كافيةً للحياة. إن لم ينقل هذه التميمة في

الوقت فأنا أخشى أنك ستفقدينه،" قال بابالاتي بصراحةٍ.

صدم كياتسؤوا هذا التصريح كصدمة صاروخ دفع قذيفةً. انبعثت في نُشُجٍ.

تمنيت أن تموت بديلةً. كانت مهمومةً. كانت غاضبةً أيضاً.

رجعت بائسةً بدون كلمةٍ تؤكّد أن سوف يكون شيءٌ مفعولٌ من قبل بابالاتي. واستسلمت كلّ شيءٍ إلى القدر وهي مؤلمة. رجع محمود من المدرسة بعد أسابيع قليلة. وصادف الجوّ القانط في مجّمعهم. لم يكن يفهم ما هي المشكلة في الوهلة الأولى. وبعد ذلك أخبرته أمه عن المكيدة الضارّة ضدّ والده. فصار غاضبًا. همّ أن يتحدّى يا-عثمان في الأمر. لكن أمه حذرت من مثل خطوة هذه.

"لا تجزئ أن تفعل شيئًا مثل هذا. ولا يرى رجل عاقلٌ جذوةً ثم يغمس يده فيها. إنه من الغباوة أن تفعل شيئًا مثل ذلك. رجلٌ يتخذ خصمًا يضره بالتحمل والصبر. تبتلع كلّ أذى تشعر به في معدتك. وبالتيجة، إن المعدة ليست مخصصة للطعام وحده. على أي حال مهما كان يفعله لا يمكنه أن يعيش للأبد. في يوم من الأيام سوف يموت أيضًا،" قالت حبيبة لمحمود.

"ابتلع محمود الشدة. كان يعرف أنه مؤلم أن يشاهد والده يموت عاجزًا. كان عليه أن يطيع والدته. ما قالته حقٌّ، لم يكن طفلًا. سيكون في العشرين من عمره في الشهرين القادمين.

بشقّ النفس أسبوعًا من عودته من المدرسة، وجد أبوه، طريح الفراش، يوم الخميس، رسالةً تخبر أن سيارته ستأتي في يوم الجمعة التالي. تسلمّ الرسالة في المساء حوالي وقت المغرب. كان محمود حاضرًا حينما جيئت بالأخبار. ابتسم أحمد. ثم تغمغم في شيءٍ غير مسموع. تخيل محمود أنه قال: "الحمد لله". ثم ابتسم بارتياح أيضًا. ويرغب في نفسه في أن أباه سيراً من مرضه ليتمتع بنتيجة جهده.

لكن في ليلة ذلك اليوم لم ينم. وصارت حالة أحمد خطيرةً جدًّا. ارتفعت درجة حرارته فجأةً وكان يلهث للتنفّس. وتم بذلُ جهودٍ ثائرة في منتصف الليل لتأمين حياته. فكروا في الإسراع به إلى المستشفى. لكن لم تكن هناك سيارة في القرية. ثم تم استدعاء مالم بابا لتقديم الدعاء. كانت كيأتسؤوا حاضرةً، وكانت حبيبة حاضرةً أيضًا،

وكان محمود حاضرًا وكذلك كان يحيى. قرأ محمود آية الكرسي في السرّ، وقرأ يحيى سورة ياسين. وَتَمَّتِ النِّسَاءُ بقول: "لا إله إلا الله" فقط. في النهاية حوالي الساعة الخامسة صباحاً، استقرت حالة أحمد. لقد استطاع أن يفتح عينيه، كما استطاع أن يتكلم أيضاً. ثم أذن المؤذن لصلاة الصبح. مالم بابا ويحيى غادرا للصلاة.

وبعد دقائق، أوما أحمد لمحمود لأن يقترب. اقترب محمود وانحنى، وللمرة الأولى منذ الأسابيع تحدث أحمد بوضوح.

"أريدك أن تتخذ ما سأخبرك به بجديّة. أنت تعرف أنني لا أملك روحي. لقد وعد الله أن يعيدها متى يشاء. إنه وحده يعطي الحياة،" وتوقّف للتنفس.

"أريدك أن تستمع بعناية شديدة. أنت الآن لست ولدًا صغيراً. أشكر الله على حياتي، وحتى في هذه الحالة، أنا لا أحسد أحداً. أنا أعتبر ذلك اختباراً من الله. ولكن كما يقال يمثل هذا المكان، إذا رأيت لحية شخص ما في اللهب، فمن الأفضل أن تُبَلِّلَ لحيّتك. أنت الولد الوحيد الذي كنت أملك لهذا السبب أريد أن أحذرك من الحياة. من يعلم أنني لا أستطيع النجاة من هذا المرض..."

"لا تقل ذلك يا أبي. الله معك. لا يهجر عبيده"، قاطعه محمود. وأمات الامرأتان الأخريان رأسيهما إشارة إلى اتفاقهما.

"أعلم، أعلم. لكن ليس لدينا قوة على أرواحنا. هذا هو السبب الذي لأجله أن نكون حذرين من كل ما نقوم به. أريدك أن تكون حذرًا من الحياة. لا تقل أبداً ما تريد القيام به ولكن دائماً قم بما تريد أن تقوله. وكذلك ناقش وتفاعل مع الجميع ولكن لا تحبر الجميع بكل شيء. أنا أدفع الثمن الآن لكوني واثقاً جداً ومنفتحاً جداً. في مجتمعنا هذه الفضائل انتحارية. لأنه طالما كنت تعيش هنا يجب عليك أن تبرز نفسك بشكل كامل وتدرّجياً. لا تُظهِرْ نفسك كِسْرَةً ولا في عجلةٍ من أمرها أبداً. لا

تُظهر. يقال إن الثعبان الذي يرفع رأسه دائماً هو المضروب! يمكنك الذهاب
لصلاتك الآن." قال أحمد أخيراً.

والآن، تحولت عينا محمود إلى اللون الأحمر وتلألأتا بالدموع. كل من سمع
أحمد يقول تلك الأشياء سيعرف أنه قد ألقى كلمته الأخيرة. وعندما غادر محمود
الغرفة لم يكن متأكداً بأن سيعود ويلقى والده على قيد الحياة. دعم جراته بطريقة ما
وتنشق نسيم الصباح الباكر.

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الجمعة، وصلت السيارة المتوقعة
إلى القرية. كانت سلسلة مازدا واغن الحمراء القانيء المرسومة بـ ٣٢٣. وبمجرد
وصولها، انتشرت الأخبار حولها واحتشد الجميع بمن فيهم النساء والأطفال ليُرَوِّها.
بعض الأولاد ذهبوا ليشعروا بها عن طريق لمسها. لكن أحمد لم يتمكن من الخروج لرؤية
السيارة. لقد وقف يا-عثمان على عتبة كَاتَامْبَا (القبة) لينظر إليها. ولكنه سرعان ما
هرع إلى غرفته.

أخذ محمود المفتاح من الرجل الذي أحضر السيارة وذهبا معاً لرؤية أحمد. كان
ينتظرهما. كانت ابتسامة تلعب على وجهه. أخذها بيدٍ مُرْتَعِشَةٍ وَهَمَّهَمَ قَائِلاً "الحمد
لله." أخذ المفتاح بِكُلِّ يَدَيْهِ وتنهَّد بشدَّة. ثم توفي. وفي أول الأمر لم يعلموا أنه قد
مات. كانت الابتسامة لا تزال هناك لكنه لم يتحرك. لاحظته محمود قوياً ثم تقدَّم إلى
الأمم. وناداه. لم يكن هناك جوابٌ. وحركه. لكنه لم يتحرك. ثم صرخ صرخةً صاخبةً
صدت في كل بيتٍ في القرية وما فوقها.

"قد مات أحمد!" استولى الموت المؤلم مرة أخرى على سكان قرية إْتِيَزُورُو كجو
عاصف. جلبت نغمات الشاطئ من الأبحان. نعى العديد من الناس هذا الموت.
وكانت النساء تتمدّدن على الأرض، وكان الرجال يصرخوا عَلَنًا وتبدى الشبان
متحيرين أيضاً. ثم بعد صلاة الجمعة، وُضِعَ أحمدُ في راحةٍ أبديةٍ.

وفي تلك الليلة لم يَنَمْ محمود. بقي مستيقظًا تمامًا. طرح نفسه مستلقيًا على سريره. وغمرت وعيه سلسلة من الأفكار. وتساءل عن ما هي الحياة بدون والده. كان عليه اتخاذ بعض القرارات الصعبة في حياته. "والآن بعد فقده لا بد لي أن أستولي على مزارعه، وأن أزود احتياجات أمي والجدة، وأخواتي والأقارب الآخرين، وأن حصلت على تعليمي الخاص للمتابعة"، فكر في داخله. "لكن السؤال الكبير هو إذا ما كنت أريد الاستمرار بالعيش هنا، لقد سئمت من هذا المكان"، قال بصوت عالٍ وهو يمسك الوسادة وتنهد بعمق، وكان بائسًا. كان فجأة في هزيمة منكبة. "أأتحلى عن دراستي؟ لا. ذلك يكون ضد روح أبي. ماذا علي أن أفعل بعدئذٍ. ارحل؟ من سيعتني بأمي والجدة والمزارع؟ ألم يبدُ ذلك بيجنٍ؟ ولكن يجب أن أبقى كي أحرث المزرعة، وأميل إلى أقاربي وأجني محصول الكراهية وأن يتم استهلاكي في اضطرار الحسد؟" وفكر بجدٍ...

لقد استغلّ جميع الاختيارات. ثم قرر أخيرًا أن يغادر القرية بالكامل لمتابعة تعليمه مهما كلفه الأمر. كان يذهب ليؤجر منزلًا في إزفيلكُو، إحدى المدن الكبيرة في المجلس المحلي في بَانْتُو حيث سيكون بعيدًا عن شعبه. كان يؤثر السيارة كلما قُسمت تركات أبيه. سيستخدم السيارة لأغراض تجارية جمعًا للأموال التي تدعم تعليمه، ودفعًا لإيجاره واهتمامًا باحتياجاته الثانوية والمتعددة.

لا بد أن تنتظر هذه الأشياء كلها حتى يتم تقسيم تركات أبيه. سيكون هذا في الشهرين القادمين أو الثلاثة المقبلة من الوقت الذي سوف يستأنف فيه الدراسة. كان لديه فترتان إضافيتان لإنهاء الدراسة. هذا يقترب من ستة أشهر بصرف النظر عن العطلات القصيرة.

الوقت يشفي جميع الجروح في الواقع. شفي الوقت الحزن الذي كان في ذاكرة محمود. بعد شهرين من وفاة أحمد، تم تقسيم تركاته. بيعت السيارة واشترها محمود

بمحصة المال التي حصل عليها. ثم أبلغ والدته عن خطته للذهاب بعيدًا عن القرية. لكنه لم يخبرها إلى أين هو ذاهب. لم يواجه معارضة شديدة من والدته كما كان يتوقع. ثم عمل في جميع الاستعدادات. لقد تعلم قيادة السيارة خلال الأشهر الماضية. والآن أصبح ماهرًا في القيادة إلى حدٍ ما.

في صباح واحدٍ من يوم الثلاثاء، جمع أشياءه. وكان الوقت السادس صباحًا. وذهب إلى والدته ليودّعها. "أنا، سأرحل. ولكن لا تقلقي، سأرسل إليك متى ذهبت إلى المستقرّ. أهم شيء بالنسبة لي أن أذهب بعيدًا وأواصل دراستي. راجيًا أن هذا سوف ينير لنا الغد. أطلب منك أن تباركني فقط"، قال لوالدته.

وبقلبٍ ثقيلٍ أجابت والدته قائلةً.

"اذهب، سيكون الله معك. أعطيك بركتي. ولكن ابقِ على الاتصال."
"سوف أفعل ذلك. يا أمي وأدعو الله أن يبقي حياتك لتنتفعي من ما سأعود به"، قال هذا وعيناه مملوءتان بالدموع.

غادر غرفتها. وعاد إلى غرفته وعبأ أشياءه في مقصورة سيارته قبل أن يبدأ سكان القرية بالخروج من مجعاتهم. كان قد صلّى صلاته للصبح. وبينما كان يتوجه لفتح بوابة السيارة المرتجلة، رأى أشخاصًا يخرجون من المسجد. ألقى نظرة سريعة إليهم. لم يكن يعرف أيًا منهم كان مسلمًا بإخلاصٍ في القلب أو الذي كان منافقًا، الروح الشريرة. لم تكن هناك طريقة للتمييز بينهم من وجوههم البريئة أو تحت عباءة الادعاءات.

لقد ألقى نظرة على المبنى الطيني الذي كان عليه المسجد وتساءل عما إذا لم يصبح مجرد رمز، ومجرد مبنى آخر من هدفه الروحي لتشكيل حُلُقٍ شخصية أولئك الذين يذهبون إلى هناك بشكلٍ لامبالاةٍ لتقديم الصلوات إلى الله. ثم رأى يا-عثمان يخرج من المسجد. فهسهس فقط ونظر إلى الجانب بسرعة. ونظر إلى القرية بكاملها

وهي تخرج من ترس الفجر بكل هدوئها، وكان يعتقد أن البيوت الطينية التي كوّنت القرية كانت بمثابة جغرافية ذابلة داخل قالب من سنّ مبكّر يجب أن يهرب منه الآن. بسرعة فتح الباب، وفتح باب سيارته ودخل. شغل المحرك، وهيج صوتها عدّة مرّات. ثم ارتدّ خروجًا من البوابة. وألقى نظرة أخرى إلى المسجد، ثم إلى القرية. عادت كلمات والده إليه "إنه طالما كنت تعيش هنا يجب عليك أن تبرز نفسك بشكل كاملٍ وتدرّجٍ". تنهّد، ثم قاد سيارته ذاهبًا.

الجحيم بعد حظر التجوال

ليس مرة واحدة كان بلد كوكوروكو فاضت السجون بأجسام بشرية خلال فترات حكم المشركين المتتالية. كانوا يسمون بالمشركين لأجل طريقة بحثهم عن السلطة. وكثيراً ما كانوا يدّخرون السلطة الملعّزة من خلال تضخية البشر والاستحمام بالدم وشربه منها. كذلك كانوا ينظّمون جلسات الدعاء في جميع أنحاء البلاد فيما يتصل بذلك مقوّين مؤسسة ديبي من وراءهم. في الواقع، كان بحث السلطة للمشركين إلهاماً سرّياً تم من خلاله التنويم المغناطيسي للمواطن. بهذه الدرجة، كانوا يمتلكون النيّات المفسدة.

كان هذا هو الحال في عهد واحدٍ لكنه آخر المشركين. تم إلقاء كلِّ من التاجرين والمساكين في السجون لأقل من إثارة. وفُرض حظرٌ للتجول على التعبير الذاتي وعلى قابليّة التحرك وعلى جمعية الحرّية. وهو حظرٌ للتجول على عصب الحرية نفسها.

كان تحت هذا الظرف أن مصباح، مسكين وممثل سياسي بصراحة، تُبِت في خلية عمرها خمسين عاماً لجراءة أن يطلق العنان لإنسانيته. كان رتاج الخلية مُلَفَّ بعزقٍ عديدٍ من نزلاء مهجورين. وقد اعتبرت السلطات أعمال مصباح بأنها أعمال شجاعية. لكنه كان يرى أعماله موجهة نحو تحرير جيله المخادع - شعبه. وأخبر كل شخصٍ كان مهتمّاً بالاستماع إلى ما يلي:

"أنا أحارب مدافعاً لقضية عادلة. لأن من يظنّ ساكتاً أمام حكومة استبدادية

خائنٌ."

اتخذ مصباح هذا التعبير بمثابة موقف أخلاقي محدد. وخدم أقلّ من ذلك كقوة تحريرية لتدريج الناس في مناخ الكياسة. ينتمي مصباح إلى عصابة من المحامين المدنيين تحت سطح الأرض المعروفين باتحاد افتداء الشعوب مع شبكة تمتدّ دولة كوكوروكو

بكاملها. وفي ظل شبكة حظر التجوال، واجه الاتحاد وقتاً عصيباً في تنظيم أنشطته التي شملت أعمالاً جماعية متفرقة، ومنشورات زائفة، ومؤتمرات صحفية، وبيانات صحفية تافهة. لم تكن مناسبة واحدة اختطف فيها النوافذ الأمنيون أعضاء اتحاد افتداء الشعوب. لكن بدلاً من تثبيط حيويّتهم، أجموا شجاعتهم أكثر أيضاً.

ومع ذلك عزم أن يعيش مصباح ليتذكر اليوم الذي قام فيه نوافذ الأمن بانتهاك أحد مخابئهم. لقد كان ذلك شبيهاً بعمل فدايّي قام خلالها نوافذ الأمن بانقضاض عليهم في اجتماع في قلب بلدة مغبّاتي. كان الموقع عبارة عن مبنى غير مكتمل يقع على بعد أمتارٍ قليلةٍ من منزل مصباح. كان المبنى ملكاً لواحد من المدافع الكبيرة للاتحاد. كان في الاجتماع عشرين منسّقاً منطقيّاً للاتحاد الذين جاءوا من جهات مختلفة في قبّعات مرتدين بالأثواب المجدّدة بجُنُباً للانتباه. استُدعيّ الاجتماع تخطيطاً لعملية كبرى من شأنها أن تجعل البلاد غير قابلةٍ للحُكم. وكانت الخطة تتمثل في تنفيذ التخريب لأنشطة الاتصالات عن بُعد، وتنفيذ التخريب لقطاعات الطاقة النفطية والطاقة الكهربائية من أجل حطّ آلية الدولة وتحويل المواطنين ضدّ الإدارة المركزية.

ولكن، خفيّاً، قد تعرّف منافذ الأمن إلى خطتها. بعد عشرين دقيقة من بدء الاجتماع، وصل خمسون من رجال الأمن المسلّحين المرتدين بالملابس المدنيّة إلى المنطقة في سيارات غير موسومة. حاصروا المبنى خلسةً. استخدم قائد الفريق ميكروفوناً لاسلكيّاً وتحدث بشكل رسمي:

"أعضاء اتحاد افتداء الشعوب، نعرف أنكم داخل هذا المبنى. من أجل مصلحتكم الخاصة، ومن أجل سلامتكم، سلّموا أنفسكم. اخرجوا إلى هنا وبأيديكم على رؤوسكم."

وكرر الرسالة مرتين وانتظر بضع دقائق للإجابة بينما وقف رجاله في حالة تأهب. وفي داخل المبنى، اهتز أعضاء الاتحاد بشكل واضح من الرسالة. نظروا بسرعة إلى بعضهم البعض، ثم قال بابا أوتي، الرجل الذي اشتهر باسم الرئيس، بصوتٍ خافتٍ: "أيها السادة، أعتقد أن معنا هنا زوّارًا. لقد تعرّضنا للخيانة مرة أخرى." "ومن كان بإمكانه فعل هذا؟" سأل شابٌ يُدعى أولًا غاضبًا. كان صحفيًا مع صحيفة شعبية شهيرة، الاجتماع الشعبي.

"حسنًا، أيًا كان من فعل ذلك، يجب أن يعلم أنه ليس هناك سلاحٌ مشكّلٌ ينجح ضدّنا." قال بابا أوتي بصوتٍ هادئٍ لكن بعزمٍ شديدٍ.

"آمين،"

"باسم اليسوع."

وقد استجاب الأعضاء في أغنية استمرارية. ولكن بجهدٍ أن تضاءلت الأغنية إلى أسفل انشقَّ صوتُ الطلقاتِ البنادقية في الهواء. وسرعان ما انبعث القلقُ بشكلٍ مفاجئٍ. فأصبح الجميع مسعورًا وفاقدًا لما يجب فعله بعد ذلك.

"أيها السادة، كلُّنا باقي في رحمة الربِّ. كانت الأسوار قصيرة جدًا لتسلّقنا. هؤلاء الذين استطاعوا أن ينجوا منّا من هذا الهجوم الضاري يجب عليهم أن يظلّوا على الاتصال أو أن يغفر لنا الربُّ."

وبمجرد أن قال هذا، سُمِعَتْ أصواتُ حُطّى تأتي من البوابة الرئيسة. وبدون تأخير، قام الأعضاء بالعدوِّ نحو السياج. وتعبّبت طلقات نارية متكررة خلال هروبهم بينما قام رجال الأمن الآخرون بمطاردة بعض الهاربين. وقُتل عددٌ قليلٌ منهم، وتعرّض بعضهم لإصابات بينما قُبِضَ على حفنةٍ منهم. اختفى بابا أوتي بشكلٍ خارقٍ للعادة بينما أولًا، الصحفي الشاب، كان من بين الذين أفلتوا. لم يكن مصباحٌ محظوظًا جدًا حيث قُبِضَ عليه حينما يحاول أن يتسلّق السورَ في الجناح الغربي من المبنى.

كانت هذه هي الذكرى للأيام المظلمة والمرعبة كما كان مُلقَّبًا في واحدة من طبعات جريدة الاجتماع الشعبي. أقام مصباح في عُولاغ وليس هو برهيب. إنها كانت تمثل الستار المظلم لحظر التجوال...

ومع ذلك، في الساعات المبكرة من التجمع المدني طُرحت العُولاغ صريحًا. وأطلق سراح جميع المحامين المدنين المعروفين والسجناء المهتمين بهم. وفي النهاية أُلفوا طريقهم مسلوغًا... وأطلقوا نغمة التحرير. أصبح الجوُّ جاهزًا للمشاركة الشعبية في المطمح المدني بالإضافة إلى الحكم القضائي. تَنَشَّق مصباحُ هواءَ الحرية مع العديد من الآخرين.

عاد مصباح من السجن ومنظره سيءٌ. رنّت دقّة الستارة لحظر التجوال المظلمة على مرآه. وكان مع ذلك صالحًا بدنيًا لصرامة حملة العملية لإنتاج المرشّح عندما حان الوقت. انضم إلى حزب الشعبي المفتدي، وهو جماعة لمجموعة من أعضاء اتحاد افتداء الشعب وواحد من الأحزاب السياسيّة العشرين المسجّلة من قبل الهيئة الانتخابيّة المركزيّة.

وفي غضون ذلك، تخلّى مصباح ممارسته القانونيّة لِيُشارك في انتخابات عُضويّة المجلس. كان موثّقًا بشعبيّة، واقتناعه، وجَبْهويّاته كالمقاتل لأجل الشعوب ليفوز في الانتخابات. ومع ذلك، في آخر المطاف، خَسِرَ أمام المعالجات بالبراعة والحيلة للحزب المسيطر، اتحاد حزب الشعب الديمقراطي، وكان ذلك موصوفًا بشكلٍ متنوّع من الأحزاب المعارضة كحزبٍ عديم اللون لجوّ السياسيين العادل. وكان الفائزُ المفترضُ، هو حَصْمُه الطبيعيّ، الذي كان مطرودًا من قبل المدرسة. ثم أسّس دَعْوَى في المحكمة ضدّ الهيئة الانتخابيّة وحزب الشعب الديمقراطي لتحريرها مشاركةً مثل هذا المرشّح في الانتخابات.

ومع ذلك، مما أثار غضبه، أنه كانت الدعوى طُوِّلت حتى الانتخابات العامة المقبلة، بعد أربع سنوات.

كان ذلك أول درسٍ مريرٍ له في إطارٍ مدنيٍّ. ثم حدث شيءٌ أكثرَ غدرًا في المرحلة الثانية من الحكم المدني. خلال الربع الأول من السنة الأولى من هذه المرحلة، أصبحت آلية الحكومة منحطةً أثناء تداعٍ انجرَّ عن الإبقاء على البُعد بين اتحادات العمّال في كلِّ من القِطَاعَيْنِ العامِّ والخاصِّ والإدارة المركزية. قرّرت الاتحادات احتجاجًا ضدَّ التّضخُّمِ الهائلِ لأسعار المواد الغذائية، والروح التّهمة في السيارة، والانحياز إلى جانبٍ واحدٍ في إجراء الإدارة، والتغاضي التام عن التنظيم المالي بالإضافة إلى التهور على نفقات الإدارات. وتكافلاً، قامت البنوك والمؤسسات المالية بإغلاق المتاجر.

كان ذلك أسوأ كابوسٍ حَدَثَ لمصباح في الإدارة المدنية. بعد أن عانى من مشهدٍ سيِّئٍ أثر على ممارسته القانونيّة، أخذ أقلَّ نشاطٍ لوظيفة الصحافة الحرة بدون دُخْلٍ نظاميٍّ. كان لديه عائلة مكونة من خمسة أفراد، زوجة وأربعة أطفال. لما بدأ العمل الاحتجاجي، افترض أنه من المسلم به أن ينتهي بمجرد أن يبدأ. ومع ذلك، استمر لمدة سبعة أيام. وكان ذلك تجربةً جهنميّةً بالنسبة له وعدة مئات من الأسر في جميع أنحاء بلد كوكوروكو. وما هذه التجربة إلا أن تأخذ في أن تبلغ النقطة الأساسية إلى الديار وصولاً للناس بأن حكم السيد أُويميدي أُوكا لم يكن العهد المخلّص الذي كانوا يأملون فيه بعد كلِّ شيءٍ.

كانت الصحيفة مغمورةً بإشاعات المعانات ووحشيات البوليس في أعقاب العمل الاحتجاجي. أصبح مصباح ضحيةً، بعد أن بقيت ثلاثة أيام من الوضع المعقّد، كان يستنفد النقود والأدوات الغذائيّة لإطعام عائلته. وكان الغاز هو أول ما خاب ظنّه. أصبح نادرًا في دكاكين الموزعين. ثم لجأوا إلى الحطب لأول مرة. لأول مرة أيضًا

كان ينبغي أن يضطروا إلى تعديل شكل تغذيتهم وفقاً لعدد المرات التي تمكّن فيها أن يبحث عن المواد الغذائية لعائلته. كانت هذه التجربة عائقاً للغاية للعيش معها. "لم أتخيل أبداً في هذا الوضع في حياتي كلها. ولم أعتقد أننا جميعاً وضعنا حياتنا في موقفٍ حرجٍ من أجل الأيام الفضليات، ولكن انظر إلى ما نجده"، وقد وبتخ في مناقشةٍ مع زوجته.

"وحتى عندما كنا في السجن، نجحنا من الحصول على وجباتنا الثلاث المربّعة العدد. هذا الوضع لا يمكن في الواقع تصوّره. يجب على السلطات أن تفعل شيئاً بسرعةٍ." زادت زوجته بقولٍ غيرٍ حادٍّ إلى حدٍّ ما.

"يا له من عار! أن تعتقد أيضاً أنهم غير حسّاسين كما هو الحال في فقدان الرابطة للجأش. حتى عندما قاتلنا هؤلاء المشركون، على الرغم من أننا لم نحصل على قولنا أو حرّيتنا، كان لدينا طريقنا. ولكن الآن، سيكون لدينا قولنا وحرّيتنا، لكننا لن نحصل على طريقنا. يا لها من سخرية"، قال ذلك بوقارٍ.

كان مصباح على الحق. بعد أسبوعٍ من الكرب الموجه، انتهى الاحتجاج بدون أن يجد قادة العمال طريقهم رغم أن لهم رأيهم. بعد يومين، كتب مصباح مقالاً مزعجاً في مجلس الشعب بعنوان "الجحيم بعد حظر التجوال"، والذي قام فيه بسرد تاريخ أيام الجحيم السبعة واستعادة أحداث الأيام المظلمة والمرعبة.

أجمة مَرَايَا

ليس مرة واحدة في أجمة مرايا كانت الديدان البشرية التي عاشت هناك جنبًا إلى جنبٍ مع اليساريع الليلية التي تتحلَّب مِيزَاتٍ جعلتها معجزةً للعالم الحديث. كانت الأجمة عبارة عن منطقة واسعة ممتدة ظَهَرَ فيها العديدُ من الأشياء الحديثة مثل الكهرباء، وشبكة الطرق المُرَفَّقة، والمباني الشاهقة، والمطارات، والهواتف، والسيارات المُبَهَّرَجَة. نعم! كان الطائرات تهبط فعلاً وتقلع من الأجمة. ما تراه المغذِّي الذي يمكن أن ينتج أي محصول تحت الشمس. كانت الأجمة في الواقع أعجوبة حديثة مُدُنًا وقرى وقرى صغيرة بِقَدْرِ ما يمكن أن يكون. كانت هناك جامعات أيضًا! لكن الجهل والامية قد انتشرت في الأجمة. كانت مدينة التناقض والاختلاف، التي تلوح عريضةً في أفق القرن الحادي والعشرين. قرن المعرفة والمشاريع والتقدُّم المفرط.

لكن سكان الأجمة كانوا شبيهاً بالدود، أو حرفياً، ديدان بشرية. وكون السبب في أنهم يمتلكون شبكة العقل الزاحف هو الذي لأجله كانوا يُعزَّون مثل هذه الممارسات مثل قضمِ بَرَفِقٍ، وتنويم مغنطيسي، وابتزاز، وكلامٍ تافه، وتسويق، وطعنٍ في عِرْضٍ، وإدلاء إشاعة، وبذاذة. شاركوا هذه الصفات مع الديدان اليساريع التي قد أكلونها، على أي حال. لأنهم أكلوا الديدان اليساريع التي أطلقوا عليها مَنِي-مَنِي، لا يمكن توقُّع شيءٍ أكثر منهم. والأعجوبة النادرة مثل الديدان اليساريع التي كانت تُقضمُ جرءًا بَدِينًا من الأوراق، على حين أن الديدان البشرية تجري إرهابًا بعضها البعض كوسيلةٍ لوجود خِصْبِ الحياة.

في أجمة مرايا، لا يمكن لأحد أن يصبح شيئًا جوهريًا دون إتقان الفن لإرهاق الآخرين. لا يمكن للمرء أن يكون مَلِكًا أو شخصًا كبيرًا دون أن يَعْرِضَ أو يَتَشَرَّبَ من حضارة الدودة. في الواقع، فإن الكثير من الإنجازات الشخصية والمادية التي حققها

سكان الأجمة كانت نتيجةً لأنشطة المترجمين الذين استولوا تحت الغلافِ الجوّي الحفيّ الذي انتشر في الأجمة بأكملها. كان هذا هو نصيب جميع العشائر التي شكّلت أجمة مرايا، كما مثلت عشيرة رُوَني. وُلِدَ طفلٌ خمسةَ وعشرين عامًا مضى، في عشيرة رُوَني وسُمِّيَ مرايا. كانت ولادة شاقّة. تَعَقَّبَ حَمْلُهُ الصلواتِ الشفاعةِ وعدّةَ زياراتٍ للسحرة كما كانت الممارسة السائدة في الأجمة. وكانت والدته، فوزية، قد تأخّر حملها بعد آخر أطفالها الخمسة. لقد أصبحت قلقةً حيث كانت تلاقي خبرةً غيرَ عادية. في كل مرة كانت تعتقد أنها قد حملت، بعد فترة، أنها سوف يبتدئ حيضها مرة أخرى. إشارة إلى أنها لم تكن حاملاً بعد ذلك. فعلت ذلك حوالي خمس مرات، وأصبحت في الواقع متحجّرةً على أن هناك شيئاً خاطئاً. ثم اتخذت الخطوة الجريئة التي لم تتعوّذها كلُّ امرأة في الأجمة. وأبلغت لزوجها، توفيق، أن الوقت قد حان لزيارة مشعوذ. كان توفيق يتفكر على طول هذا الخط ولكن لم تُخبر النساءُ بكلِّ شيءٍ في أجمة مرايا. لذلك حفظ الاعتقاد لنفسه.

"هذا الشيء الذي يحدث لي، أشعر، أنه ليس طبيعياً. إن وجدت إذنك فأودُّ أن أزورَ قريةَ دَاوُونِيَّه،" لقد صارحتُ زوجها بالأمر في مساء معيّن.

"لمَ ذا؟" سأل بهدوء.

"قيل لي إن هناك مالم متخصصاً في مثل هذه الأمور. ربما كان بإمكانه تقديم المساعدة،" لقد ردّت بهدوء.

"أيتها النساء! ألا تثقين في الله مرة أخرى؟" لقد قال متظاهراً.

"بلى. لكن في هذه الأمور، لا يمكن ترك شيءٍ لفرص. أنت تعرف كيف كان

الناس في هذه الأيام،" قالت محاولةً لإقناع زوجها.

"حسناً، يمكنك أن تتركي كلَّ شيء لي. أعتقد أنني أستطيع أن أعامل معه،"

قال نهائياً.

"حسناً، إذا قلت ذلك. تذكر مباشرة أن العصا التي تؤذي العين كانت
مسترشدة من البعد،" حدّرت بوقور.

لم تُسئِدِ المسألة بُرْمَتِهَا إليه أبداً، ولم يَلِنْ لها كذلك. كلاهما ذهبا في طُرُقٍ
مستقلّةٍ لاستشارة سَحْرَةٍ. تسلّلت إلى قرية دَوْنِيَّهَ بينما هو ذهب إلى قرية مُحَارِي. وقد
قيل لكل منهما على حِدَةٍ إن السبب الذي لأجله كانت فوزية تعاني مشكلة الحمل
كان حقيقةً أنهما على وشك أن يُسعدا طفلًا يُحَوِّزُ شُهْرَةً، لكن هناك امرأة في أهل
منزلهم بتأميرٍ مع بعض الأشخاص الآخرين قد تَنَبَّأت بذلك وكانت عازمةً على منع
ولادة الطفل. ولكنهما قيل لهما أنهما إذا وَقَفَا بِحَرْمٍ واتَّخذا إجراءات سريعة، يمكنهما
التغلب على الخطة الشريرة لهؤلاء الناس. وقيل لهما أيضاً: مهما استطيعا أن يفعلا،
فلن يفلتا من شيء فظيع سوف يحدث في أسرتهما تبشيراً بولادة الطفل. لم يُذَكِّر
شيءٌ محدّدٌ. ومع ذلك، لتمكين فوزية من أن تُحْمِلَ مرةً أخرى، أعطى توفيق بعض
أوراق النبات التي تغلي زوجته مع عِزًا والبوتاس الأحمر، ثم يشربها بعد ذلك. ومن
جانب فوزية قيلت أن تُعْطِيَ صدقاتٍ من سبعة جوز الكولا الأبيض، وسبعة حفنة
من الذرة البيضاء التي رشها بزيت النخيل وفحم بارد، ولحم البقر، كل ذلك تربط في
قطعة قماش حرراء وتفركها على جسدها. كان عليها أن تعطيه لامرأة عمياء متسوّلة
ينبغي لها أن تكون واقفةً حينما كانت الزكّات تعطى لها.

عادا منفصلين دون إخبار بعضهما البعض ما قيل لهما. نفذت فوزية ما قيل
لها أن تفعل وكذلك أغلت أوراق الأعشاب التي أعطها زوجها. لأقصى معتقدتهما،
حملت فوزية في الشهر التالي. ومع ذلك، في غضون ثمانية أشهر، توفي توفيق في
حادث سيارة مروّع في طريقه من رحلة رسمية. وهكذا، أُلقيت الأسرة المعتدلة للتوفيق
في حالة من الفوضى. كان نائب المدير في وكالة الأشغال العامة، وعاش حياة بسيطة
ومعتدلة. كان أصيلاً حقاً. كانت قصص بعد وفاته أنه وقع ضحية للمكائد الشريرة

لزميله في العمل، تميم، الذي كان من المتوقع تقاعده بعد خمسة أشهر، والذي تنازع معه للحصول على منصب المدير.

لكن فوزية أخذت كل شيء بهدوء غير عادي. كانت مصممة على حوز الطفل على الرغم من كل شيء. بعد شهر واحد، وكان الطفل مولودًا. وأسندت كل تحرك إلى أخت زوجها لإعطاء الطفل اسمًا آخر سوى اسم مرايا: الشخص الذي فقد كل شيء. كانت تعتقد أنه بعد أن فقدت زوجها، وفقد الطفل والده، لا يوجد اسم أفضل يمكن أن يتلاءم مع الوضع. وكانت قد وجدت طريقها في النهاية.

نشأ مرايا بسرعة مثل حاليق اليام. نما طفلاً ذكيًا لكونه فتى صغيرًا رشيقًا فرحة لوالدته التي أقسمت تحت أنفاسها أن تحميه من أي ضرر مهما كانت في قيد الحياة. لقد كبر أطفالها الآخرون أيضًا. كانت ابنتها قد بلغت مبلغ الزواج في حين أن اثنين من أبنائها الثلاثة أكملتا تعليمهما الثانوي. الآخر كان في السنة النهائية. ومع ذلك، لم يتمكن الاثنان اللذان انتهيا من مواصلة دراستهما بسبب إخفاقهما في امتحاناتهما النهائية. وهكذا أصبحت متشردين مستسلمين للسياسيين. على الرغم من أن البنات قد أحسنت قليلاً، كانت دلائل نجاحهن من الزواج أكثر من الدراسات الإضافية.

بددت فوزية طاقتها في محاولة إرشاد ولديها الكبيرين، قادر وعبد، ولكن بدون جدوى. وكانت تصرخ عليهما في مثل هذه المناسبات.

"أنتما كبرتما غير صالحين. أنتما ببساطة ترفضان الذهاب للبحث عن ثرواتكما الخاصة. ما شأني، لقد عشت حياتي الخاصة. أنا في انتظار موتي فحسب. أريد فقط أن تعرفا أنكما لا تنتفعا من شيء باتباع أشخاص آخرين أو التحدث عن إنجازاتكم غير الخاصة بكما. الوقت لا ينتظر أحدًا"، كانت تصرخ عليهما ليسمعها العالم كله. وفي أحيان أخرى، كانت تدفن وجهها في يديها وتبدي حزن قلبها.

"يا أيها الموت! أنت مؤلم جداً. من يعلم لو كان والدهم حيًا يراقب الأشياء
لكانت مختلفة".

لكن فوزية عزّت نفسها بقراءة بخت السحرة بالنسبة لمرايا. على الأقل إذا
بلغت الأمور أقصاها تعتمد عليه. بقي هو أملها الوحيد!
أظهر مرايا آثار الأمور الكبيرة قُدماً. كان يجيد في تعلّمه القرآني والغربي.
حققت أمه أنه لا يفتقر إلى أي شيء قليل باعتبار أنه كان كبنماغي (آخر مولود)
كما هو المعروف عند فتح البخت. في عائلة روني، كان الأطفال الأصغر سنًا دائماً
مفضّلين عند أمهاتهم. فعلت فوزية كل شيء ممكنٍ مساعدةً في دراسته. على الرغم
من أنها تبدو ضعيفة الآن وهي في السادسة والخمسين من عمرها، كانت تشتري قطع
الأخشاب لبيعها إضافةً إلى البيع بالتجزئة للبضائع الأخرى مثل الغسيل، وجوز
الكولا، والكبروسين، وغيرها من السلع المتنوعة لتربية الاحتفاظ بالعائلة. قد استُثبِت
في سنّها من الزواج الجديد ولو فيما كانت تؤمن به. وبذلك أحييت الأمل في نفسها
أن يبقى الله حياتها لعلها تجني ثمرة عملها.

وللمحافظة على هذا الأمل، كانت تستخدم جزءاً من عائدات مبيعاتها لزيارة
السحرة وتطويع خدمة العلماء للدعاء لحماية ابنها، مرايا. في بعض الأحيان كانت
تواجه صعوبة في إدارة الأشياء مثل التمايم أو الماء السحري الذي أعطونها للسحرة في
مرايا.

"لا، اننا، هذه الأشياء لا تعمل. إنه تناقض مع إيماننا"، كما كان يقول في مثل
هذه المناسبات.

"أنا أعلم. ولكن يجب أن تتعلم أيضاً أن في أمور الله تناقضاً. لأنه يجب أدعية
الظالمين والمحسنين على حد سواء. ويقول يجب علينا أن نؤيد احتياجاتنا"، إنها تدافع
أيضاً...

"نعم، ولكن..."

"ابني، تذكر دائماً أن طرق عمل الشر قتلت والدك" "أنا لا أريدك أن تنهى هذه الطريقة"، قالت بشكل انعكاسي.

"لكن، لم يكن ذلك ممكناً بدون مساعدة الله. ربما كان مقدراً أن يموت في مثل هذه الوسائل"، كان يقول دفاعاً.

"هل تفهم ما أعني. على أي حال، اشرب هذا القسط فقط، وعلق هذه التميمة على داخل من جيب سروالك." "لا تكن بدونها"، إنها كانت تؤكد في النقطة الأخيرة.

كان دائماً في مثل كل مرة حاولت فيها إقناع ابنه أن يهتم بما أخبره به السحرة. لم تلمه أبداً، لأنه كان صغيراً أن يفهم ذلك. ربما في يوم من الأيام سوف يفهم.

لكن ذلك اليوم لم يكن أبداً. أصبح سراياً. كان أملها في رؤية نبوءة السحرة الليي تتحقق في مرايا قد تحطمت من قبل شيء غير عادي حدث لي جعل أمرها في الإخفاق.

استيقظت جميع جماعة روني صباح يوم الأحد المشرق، فوجدوا عنزة سوداء شابة مربوطة على وتد في وسط الملعب. سحبت العنزة إلى هنالك من أشخاص مجهولين، وكانت تنغو وتضرب رأسها بشدة إلى الوتد. وجذب ذلك جماعة من الأطفال والكبار على حد سواء إلى الحادث. تجمع الناس لرؤية عنزة مجنونة لأول مرة في تاريخ عشيرة روني.

وفي هذه الأثناء، في هذا الوقت، ذهبت مرايا الذي كان في الخامسة والعشرين من عمره بالفعل للتسجيل في برنامج مستوى اللسانس للمحاسبة في جامعة زوري. غير أنه عاد بشكل غير متوقع بعد ثلاثة أيام من إطلاق العنزة المجنونة في الأدغال خوفاً من أن يعرض أي شخص. لكنه عاد بطريقة غير مريحة.

بمجرد أن تَرَجَّلَ عن السيارة التي أتت به، ركض حوالي مسافة عشرة كيلومترات إلى منزله. بالنظر إلى والدته صاح صيحةً شديدةً وجلس على ركبتيه. وفورًا، تَنَعَّمَ في عادة متنافرة:

"أنا - أنا - أنا حلمت... نعم، حلمت... أننا سامحيني... نعم، يمكنني أن آخذك... إلى هناك، هناك... إلى... غابة م- را-يا ها-ها-ها." "ما دهاك يا مرايا. يا إلهي، لقد هلكت، من يساعدني..." "أغمي عليها بعدما قالت هذه الكلمات. استمر مرايا بالثرثرة:

"لقد رأيت... هم... النجوم... أنا ملكهم"، يتظاهر ملكيًا. دارت قصته مثل نار البرية. كان مرايا مجنونًا. ثم بعد ذلك أفاقت فوزية وقالت في حالتها الكئيبة "يا له من عالم شرير. القوى الشريرة التي طاردتني الأمس أدركتني اليوم. أوه، مرايا، أهذا هو الاسم الذي كنت مقدّرًا عليه؟ أم اسمك هو الذي اتبعك؟ في الواقع، لقد فقدت كل شيء وفقدنا كل شيء أيضا." نَشَجَتْ وهي تقول هذه الكلمات.

وهكذا كان قضاء طفل مرايا متشابكًا بقضاء الغابة التي فقدت يوميًا نجومها الساطعة، حتى تربتها المغذية بعقلية سكانها الزاحفة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، قد بلغ الأمر منتهاه وحصل الباحث إلى خاتمة هذا البحث الذي عنوانه "حصاد كراهية" الترجمة العربية لقصة إسماعيل عبد الله القصيرة بعنوان "Hatred A Harvest of".

لقد حاول الباحث أن يترجم الكتاب "A Harvest of Hatred" لإسمائيل عبد الله من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية من خلال أربعة فصول. ويحتوي الفصل الأول بموضوع البحث وأهمية البحث وأهداف البحث ثم وبعد ذلك ذكر الباحث حدود البحث وهو ترجمة نصوص الكتاب بأكمله، ثم ذكر مشكلة البحث والتي منها عدم قيام أي باحث بترجمة هذا الكتاب. وفي الفصل الثاني تناول الباحث الدراسة السابقة. وفي الفصل الثالث تناول حياة المؤلف: ولادة إسمائيل عبد الله ونشأته ودراساته. ثم تناول الدراسة النظرية للترجمة المبحث الأول ترجمة المؤلف، والمبحث الثاني، تعريف الترجمة وفي المبحث الثالث شروط الترجمة والمترجم وفي المبحث الرابع أنواع الترجمة وطرقها.

وفي الفصل الرابع والأخير، عرض الباحث الكتاب الذي قسمه الكاتب إلى جزئين من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وجعله. وأخيراً، يرجو الباحث أن يكون هذا البحث مقبولاً ومنفعاً للقارئ والطلاب وحتى الباحثين الآخرين.

نتائج البحث

استنتج الباحث من هذا العمل ما يلي:

- ١- أن قصص القصيرة تسلط الضوء على بعض الأخلاق الشريرة في المجتمع.
- ٢- أن طبيعة الحسد والكراهية تكثر لدى سكان القرية.
- ٣- أن أكثر البدويين يعتمدون على السحرة والكهان في أغلب أمور حياتهم.
- ٤- عدم الاهتمام الكبير من سكان القرية بالتوكل على الله تعالى وعدم الاستسلام لقضائه.
- ٥- أن المرأة قد تستخدم وسيلة من وسائل الفساد والشر بنيل مرادها.
- ٦- استطاع الكاتب أن يعرض الحكايات المتنوعة المشيرة إلى طبيعة الحسد والكراهية.
- ٧- أن فيروس نقص المناعة البشرية (HIV) ومرض الإيدز مخترع في المخبر كندي (Canada) من الغريين لينقص عدد سكان الأفريقية.
- ٨- مع ظهور فساد الأمر والسكان يوجد فيهم الصالح المؤمن.
- ٩- أن الأيتام ربما يصبح بالأخلاق فاسد إن لم يجدوا من يحافظ على رعايتهم.

التوصيات

- ١- أوصي بأن يوضع هذا البحث في المكتبة حيث يكون منارا للباحثين.
- ٢- أوصي القائمين بالأمر أن يهتموا بفن الترجمة كإهتمامهم بسائر فنون اللغة العربية وآدابها.
- ٣- وأوصي أيضا أن يؤسس شعبة لفن الترجمة في قسم دراسات اللغة العربية في جامعة ولاية نصرأوا كئفئ.
- ٤- وأوصي أيضا أن يقوم بعض الباحثين بترجمة النصوص وكتب باللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية وغيرها.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

- أحمد حامد أحمد (الدكتور): المرشد إلى معرفة أسماء المخترعات والمصطلحات الإدارية
- ابن منظور، لسان العرب العلامة ابن منظور سنة الطبع، ١٣٢٣م - ٢٠٠٣م (الجزء الأول دار الحديث القاهرة).
- إسماعيل عبد القادر: "الآلهة لا تلام" The gods are not to blame لأولاروتمي: ترجمة إلى العربية. أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا قسم الدراسات العربية، للحصول على شهادة الماجستير في اللغة العربية سنة ٢٠١١-٢٠١٢.
- إمام اسماعيل بن حماد الجوهري، معجم الصحاح، الطبعة الثالثة عام، ١٤٢٩- ٢٠٠٨ الناشر: دار المعروفة - بيروت.
- أنيس: المعجم الوسيط، القاهرة، في ربيع الأول ١٣٩٢ - مايو ١٩٧٨..
- الدكتور رمزي منير البعلبكي: المورد الحديث قاموس إنكليزي عربي نشر: دار العلم للماليين عام: ٢٠١٤م.
- غسان الديب رئيس مجلس الإدارة والمدير العام: قاموس اطلس: دار أطلس للنس الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي، القاموس المحيط، عام ٧٢٩ هـ نشر: شرحة القدس.
- محمد سعيد، سليم إدوار، القاموس إنكليزي عربي، اعداد مكتب الدراسات والبحوث الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية.